التغريب اللغوي في القرآن الكريم

رسالة تقدم بها الطالب

حسام أحمد هاشم الراوي

إلى
مجلس كلية الاداب - جامعة البصرة
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الاستاذ الدكتور / مصطفى عبداللطيف جياووك
الدكتور / عبدالكريم ناصر الخزرجي

١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾

صدق الله العظيم

[يوسف: ٢]

الإِهْدَاء

إلى والديَّ . . . بِراً وإحساناً

إلى إخوتي ،وأخصّ الكبير منهم . . . عصام

إلى من كانت سنداً وعوناً في مواصلة الدراسة هذه . . . زوجتي

إلى كل من له فضل في وصولي إلى هذه المرحلة . . .

أهدي ثمرة هذا البحث .

شكر وتقدير

بدءاً أشكر الله تعالى بتفضله عليّ في إكمال رسالتي، ثم أتقدم بالشكر والعرفان لأستاذيَّ المشرفَين الأستاذ الدكتور مصطفى عبداللطيف جياووك الذي شملني بعنايته ورعايته طيلة مدة إشرافه على هذه الرسالة وإبداء الآراء التي أغنت البحث وجعلته بهذا الشكل، فقد هوّن عليّ الصعاب، والشيخ الدكتور عبدالكريم ناصر الخزرجي الذي كان عوناً لي وأخاً كبيراً خلال مرحلة الدراسة والبحث، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

ومن الأساتذة الأستاذ الدكتور جمهور كريم الخمّاس – رحمه الله– والأستاذ أمجد العثمان لتقديمهم النصائح القيّمة والتوجيهات السديدة وتوفيرهم لي بعض المصادر التي تخص البحث.

كما أود أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى جميع الزملاء في قسم اللغة العربية، وخاصة منهم من قدم لي العون ولمست تعاونهم وطيب أخلاقهم.

ومن العرفان بالجميل أن أشكر منتسبي المكتبة المركزية ومكتبة كلية الآداب والدراسات العليا في قسم اللغة العربية وموظفي مكتبة كلية التربية لما أبدوه من التعاون مع الباحث في توفير مصادر البحث ولم يدخروا جهداً في سبيل تقديم المساعدة فجزاهم الله خير الجزاء.

الباحث

إقرار المشرف

نشهد أن إعداد هذه الرسالة قد جرى تحت إشرافنا في كلية الآداب / قسم اللغة العربية/ جامعة البصرة، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغــة العربية وآدابها.

التوقيع:

المشرف: أ.د. مصطفى عبداللطيف جياووك

التاريخ: / /٢٠٠٥

التوقيع:

المشرف: د. عبدالكريم ناصر

التاريخ: / /٢٠٠٥

بناءً على التوصيات أرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع:

الاسم: أ.د. عبدالحسين علك المبارك

رئيس لجنة الدراسات العليا
في قسم اللغة العربية
التاريخ: / /٢٠٠٥

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة أننا اطلعنا على هــذه الرســالة الموســومة **(التغريب اللغوي في القرآن الكريم)** وناقشنا الطالب **حسام أحمد هاشم** فــي محتوياتهــا، وفيما له علاقة بها ونعتقد بأنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير فــي اللغــة العربية وآدابها وبتقدير(   ).

التوقيع:
الاسم:
رئيساً

التوقيع:
الاسم:
عضواً

التوقيع:
الاسم:
عضواً

التوقيع:
الاسم: أ.د. مصطفى عبداللطيف جياووك
عضواً ومشرفاً

التوقيع:
الاسم: د. عبدالكريم ناصر
عضواً ومشرفاً

صدقت من قبل كلية الآداب – جامعة البصرة

التوقيع:
الاسم: أ.د. باسم حطاب الطعمة
العميد

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ – د
التمهيد	١–٥
مفهوم التغريب في القرآن الكريم	٣
التصنيف التغريب	٥
الفصل الأول: التغريب اللغوي على مستوى حروف المعاني	٦–٣٠
أولاً : تضمين حروف الجر	٧–٢١
• في	٩
• الى	١١
• على	١٢
• من	١٤
• الباء	١٥
• اللام	١٧
• عن	١٩
ثانياً: الذكر والحذف	٢٢– ٣٠
• الذكر والحذف في حروف الجر	٢٢–٢٦
• الذكر والحذف في حرف الواو	٢٦–٣٠
الفصل الثاني: التغريب اللغوي على مستوى المفردة القرآنية	٣١– ٥٦
الفصل الثالث :التغريب اللغوي على مستوى التركيب القرآني	٥٧–٨٤
أولاً: التذكير والـــتأنيث	٦٠–٦٥
١. تذكير المؤنث	٦٠
٢. تأنيث المذكر	٦٤
ثانياً : الإفراد والتثنية والجمع	٦٦–٧٤
١. الإخبار بالمفرد عن الجمع	٦٦
٢. الإخبار بالجمع عن المفرد	٦٨
٣. مخاطبة المثنى بالجمع	٧١
٤. الانتقال من الجمع الى المثنى	٧٢
٥. خطاب المثنى بالإفراد	٧٣
ثالثا: الحمل على اللفظ والحمل على المعنى	٧٥–٧٨
رابعاً : خلخلة المعطوفات	٧٩–٨٤
الفصل الرابع: التغريب اللغوي على مستوى مجازات القرآن	٨٥ – ١٠٧
أولاً: التشبيه في القرآن الكريم	٨٥–٩٧
١. الغرابة في وجه الشبه	٨٧
٢. الغرابة في المشبه به	٨٩
٣. الغرابة في بناء التشبيه	٩٣
٤. الغرابة في تداخل التشبيه	٩٥
ثانياً: الاستعارة في القرآن الكريم	٩٨–١٠٣
ثالثاً: الكناية في القرآن الكريم	١٠٤–١٠٧
الخاتمة	١٠٨–١١١
المصادر والمراجع	١١٢–١٢١

المقدمة

الحمد لله الذي لا اله و لا معبود بحق عداه، أحمده حمد الشاكرين لنعمـــه، المــؤتمرين بأمره، وأصلي على من لا نبي من بعده محمد صلى الله عليه وعلى آلـــه الأطهـــار وصـــحبه المنتجبين الأخيار ومن سار على هديه واقتفى أثره وأسلم تسليماً كثيراً.

وبعد فقد كانت رغبتي تحدوني منذ أن دخلت المرحلة الجامعية إلـــى أن أدرس القـــران الكريم وعلومه، وكان بحث التخرج في المرحلة الرابعة في التربية الإسلامية ، وعندما التحقت لمرحلة الماجستير زاد شوقي إلى أن أدرس موضوعاً يخص القرآن الكريم و لاسيما في الأمور التي خفي كثير من دلالاتها واختلف فيها العلماء والمفسرون، بغية أن تكشف لـــي وللآخـــرين بعض من خبايا أسرار تعبيره الفريد ورغبة في خدمة لغته الخالدة وطمعاً في نيل أجـــر الـــدنيا وثواب الآخرة وفوق هذا وذاك محبة لكتاب الله تعالى وكلامه الشريف، فتحقق ذلك بفـــضل الله تعالى وبركته حين عرض علي أستاذي المشرف الدكتور مـــصطفى عبـــداللطيف موضـــوع (التغريب اللغوي في القران الكريم) ليكون موضوعاً لرسالتي هذه.

ومما جعلني أتحمس للكتابة في هذا الموضوع أن أحداً من العلماء لم يهتم بـــه اهتمامـــا وافيا فضلاً عن أن في القران الكريم من التغريب ما ليس في قوانين اللغة العربية الظاهرة فهو يخرج في الكثير من آياته عن قواعد اللغة والنحو ولذلك الخروج مبررات نأتي عليها إن شـــاء الله.

وبعد أن استقرت الرغبة وتحدد الهدف بدأت متكلاً على الله أولاً أقرأ في كتب التفـــسير والغريب والنحو والبلاغة... وغيرها من الكتب التي تخص الموضوع من قريب أو بعيد عاملاً على إحصاء الألفاظ والآيات التي تخص هذا الموضوع مما يسر لـــي تتبـــع آراء المفـــسرين وعلماء اللغة والنحو في تلك الظاهرة التي وردت فيها.

وكانت كتب التفسير من أهم المصادر التي اعتمدتها في بحثي ذلك أن موضوعي يخص القران الكريم ، فانتقيت من تلك التفاسير أشهرها وأكثرها اهتماما بالآراء اللغويـــة والبلاغيـــة وغيرها من القضايا التفسيرية الأخرى للنصوص القرآنية ، ومنها تفسير الكشاف للزمخـــشري والتفسير الكبير للإمام الرازي ، والجامع لأحـــكام القران المسمى بتفسير القرطبي ، وغيرهـــا من التفاسير التي تخص البحث.

ومن المصادر الأخرى التي اعتمدتها في البحث كتاب سيبويه ومعاني القران للفرّاء ومغني اللبيب لابن هشام ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني والبرهان في علوم القران للزركشي والإتقان في علوم القران ومعترك الأقران في إعجاز القران للسيوطي والخصائص لابن جني.

ومن الكتب الحديثة معاني النحو والتعبير القرآني وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني للدكتور فاضل السامرائي والبلاغة فنونها وأفنانها للدكتور فضل حسن عباس ودراسات فنية في صور القران لمحمود البستاني.

وبعد أن انتهيت من جمع المادة وجدتها تملي علي أن اقسمها إلى أربعة فصول، سبقها تمهيد وتلتها خاتمة ضمت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

وقد تضمن التمهيد بدايات الاهتمام بالتغريب اللغوي منذ عهد النبي وعهد الصحابة الكرام وحثهم على الاعتناء به ، ومن ثم بداية الكتابة في التفسير وعلومه ثم تطرقت الى وضع تعريف شامل لمصطلح التغريب، بعد ذلك تكلمت على أهم من كتب في الغريب والتغريب وحسب التسلسل الزمني لذلك.

أما الفصل الأول فقد كان معنوناً (التغريب اللغوي على مستوى حروف المعاني) وقد قسم هذا الفصل على قسمين تناولت فيه أولاً التضمين في حروف المعاني ثم تطرقت إلى الذكر والحذف في هذه الحروف.

أما الفصل الثاني فقد عنونته (التغريب اللغوي على مستوى اللفظة القرآنية) وتضمن هذا الفصل الألفاظ الغريبة التي تخص الغيبيات ومنها ألفاظ النار وعذابها والجنة ونعيمها وأسماء يوم القيامة ، ومنها الألفاظ التي تعود أصولها إلى الأمم السابقة واللغات القديمة والألفاظ ذات الندرة الشديدة بحيث لم يسمع بها كثير من العرب.

اما الفصل الثالث فقد وسمته بـ(التغريب اللغوي على مستوى التركيب القرآني) وفيه أربعة مباحث تناولت في الأول منه(التذكير والتأنيث) أما المبحث الثاني فهو في (الإفراد والتثنية والجمع) والمبحث الثالث في (الحمل على اللفظ والمعنى) ، وفي المبحث الرابع تطرقت إلى (خلخلة المعطوفات).

أما الفصل الرابع فتناولت فيه (المجاز في القران الكريم) وتطرقت إلى التشبيه وغرابته في القران الكريم وكانت هناك بعض العنوانات الفرعية ، ثم تناولت الاستعارة في النص القرآني ومن ثم الكناية وما جاء فيها من غرابة.

أما الخاتمة فقد جاء فيها أهم النتائج إلى توصل إليها الباحث أثناء كتابة رسالته.

وأول الصعوبات التي واجهها الباحث عند كتابة رسالته قلة المصادر بسبب ما تعرضت له المكتبات من السرقة والحرق والتخريب، وعدم وجود المكان الملائم للمطالعة والبحث في هذه المكتبات.

وأخيراً أرجو أن ينال هذا البحث ما أتمناه من القبول وأن أكون قد قدمت شيئاً أخدم فيه كتاب الله العزيز ولغة القران الكريم اللغة العربية.

الباحث

التمهيد

- مفهوم التغريب في القرآن الكريم
- التصنيف في التغريب

اهتم علماء اللغة العربية بتفسير بعض الأمور الغامضة الغريبة في القرآن الكريم، وشرح ما يصعب من معاني ألفاظه وجمله وقد كان في بادئ الأمر قليلاً ثم كثر، فالمسلمون الأوائل كانوا على سليقة عربية مستقيمة، ورثوها عن آبائهم وأجدادهم والقرآن الكريم نزل بلسانهم ، فلم يكونوا في حاجة إلى تفسير الغريب، ولم يصعب عليهم إلا القليل النادر الذي كان باستطاعتهم أن يفهموا المراد منه من خلال سياق الآيات والمخزون اللغوي العربي ، والرسول الكريم ﷺ كان بينهم، ولكنه بعد ذلك قُبض ، كذلك الصحابة الكرام عليهم رضوان الله، ومع مرور الزمن ودخول اللسان غير العربي إلى الإسلام وجدت الغرابة بين القرآن وقارئه شيئاً فشيئاً وساعد على ذلك بُعد العرب عن السليقة بسبب الاختلاط بالأعاجم وفساد الألسنة ، فكان لابد لهم من شرح غريب القرآن وتفسير ما يشق عليهم فهمه.

أما الألفاظ فقد كان في عهد النبي ﷺ ألفاظ من القرآن الكريم تحتاج إلى تفسير وتوضيح، وكان الرسول ﷺ يُسأل عن بعض الألفاظ فيجيب عنها.

وقد حث الرسول ﷺ على تفسير غريب القرآن وبيان ما فيه من معاني الألفاظ، وقد أشار إلى ذلك السيوطي إذ يقول: ((وينبغي الاعتناء به، فقد أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعاً: أعربوا القرآن، والتمسوا غرائبه))[1].

وعلق السيوطي على الحديث قائلاً: ((المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة، وهو ما يقابل اللحن لأن القراءة مع فقده ليست قراءة، ولا ثواب فيها))[2].

ولم يكن الأمر مقصوراً على عامة الناس دون خاصتهم في الإسلام، فهؤلاء هم الصحابة الكرام أصحاب اللغة والفصاحة والبلاغة ومن نزل القرآن في زمنهم توقفوا عند ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئاً ، فقد ((أخرج أبو عبيد في الفضائل ، عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سئل عن قوله: ((وفاكهة وأبا))[3] فقال: أي سماء تظلني أو أي أرض تقلني، إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم!)))[4].

---

(1) الإتقان: ٣/٢.
(2) المصدر نفسه.
(3) سورة عبس: ٣١.
(4) الإتقان: ٤/٢.

وهذا ترجمان القرآن، ومن دعا له الرسول ﷺ فقال: ((اللّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نراه يقف عند بعض الألفاظ، فقد ((أخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات ، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال احدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها))[1].

أما التراكيب القرآنية وسياقاتها فلم يتطرقوا إلى تفسيرها لأنهم- كما قلنا- كانوا على سليقة صحيحة، وأول من قام بتفسير القرآن الكريم ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل إن أول من فسّر القرآن الكريم هو مجاهد (ت ١١٤ هـ).

وبعد ذلك انطلق العلماء في تفسير القرآن الكريم وكشف عجائبه وخباياه التي خفيت على كثير من المسلمين، وقد تركوا لنا موروثاً كبيراً في هذا العلم.

مفهوم التغريب في القرآن الكريم

لم يجد الباحث من عرف التغريب تعريفاً بالمصطلح، ويرى أن التغريب هو (الخروج عن المألوف) أو ما يسمى في الدراسات الحديثة (الانزياح) أو (كسر أفق القارئ)، إذ أنك ترى النص القرآني أو ما يسمى بالسياق القرآني يسير على نمط واحد من الأفراد أو التثنية ثم يأتي بعد ذلك الإفراد مباشرة بلفظة تدل على الجمع، أو انه يخاطب البشر في الزمن الحاضر ثم تراه يتحول إلى الماضي أو المستقبل، وقد يخاطب المذكر بصيغة المؤنث أو العكس وقد يضع حرفاً مكان آخر... وهكذا.

فمثال ذلك في الإفراد والجمع قوله تعالى في الحديث عن المنافقين وصفتهم: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ**﴾[2] فبدأ الآية القرآنية بالجمع وهو قوله (مثلهم) ثم أفرد فقال (كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله) ثم جمع فقال (ذهب الله بنورهم) ، فنرى هذا التحول في الصيغ قد أحدث انكساراً أو انزياحاً عند القارئ أو السامع ، فهو يظن أن تأتي الجملة بالإفراد جميعاً أو بالجمع ولكن القرآن الكريم خرج عن هذا المألوف الذي اعتاد عليه الناس.

ومن أمثلته في التضمين قوله تعالى: ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ [3] وكان من المفترض والمتوقع أن يقول(أذلة للمؤمنين)، وقيل أن (على) هنا بمعنى اللام[1].

---

(1) الإتقان: ٢/٢.
(2) سورة البقرة: ١١.
(3) سورة المائدة: ٥٤.

إلا أنه تعالى جاء بحرف الجر (على) هنا للدلالة على أنهم مع ذلهم لإخوانهم فهم في استعلاء[٢] والأمر الآخر أن (الذل) أعطى معنى إضافياً لمعناه الأصلي، وهو الحنو والعطف[٣] على المؤمنين، وهذا ما دل عليه حرف الجر (على) ولو أنه تعالى جاء باللام بدلا من (على) لما اتضح للسامعين هذا المعنى وهذه الدلالة.

التصنيف في التغريب

لقد صنّف خلق كثير في غريب ألفاظ القرآن الكريم منهم ابن عباس ﷺ (ت ٦٨ هـ) والكسائي (ت ١٨٠ هـ) والفرّاء (ت ٢٠٧ هـ) ومكي بن أبي طالب(ت ٤٣٧ هـ) والراغب الأصفهاني(ت ٥٠٢ هـ)، وغيرهم من العلماء الذين ألفوا في هذا العلم، وهناك من تتبع التأليف في غريب القرآن ومنهم الدكتور عبدالحميد سيد طلب في كتابه (غريب القرآن رجاله ومناهجه) فذكر علماء الغريب ومناهجهم من القرن الأول إلى القرن الثامن الهجري .

أمّا التأليف في التغريب على مستوى النص أو التركيب القرآني فلم أجد من ألّف فيه بشكل خاص، وبهذا المصطلح الذي ذكرناه، إلا أن الكثير من العلماء تحدثوا عن هذا الموضوع ولكن من بعيد وبتسميات أخرى، وبمجرد الإشارة إلى هذه الأمور من عدم المطابقة أو التضمين .. إلى غير ذلك.

فمن العلماء القدماء الذين وُجد في كتبهم مثل هذه الموضوعات سيبويه؛ فكتابه مليء بها، فنجده يتحدث عن التذكير والتأنيث وجواز مخاطبة أحدهما بالآخر، وحديثه أيضاً عن المعطوفات وخلخلتها وإعطاء رأيه فيها إلى غير ذلك من هذه الموضوعات.

ومنهم أيضاً ابن جني في كتابه (الخصائص) عند حديثه عن التضمين ، والفرّاء في كتابه (معاني القرآن)، ومنهم أيضاً ابن هشام في كتابه (مغني اللبيب) وكلامه عن حروف المعاني ونيابة بعضها عن بعض، وذكره للتضمين أيضاً، والعكبري في كتابه (إملاء ما منّ به الرحمن) وهو مختص بإعراب سور القرآن الكريم .

أمّا المفسرون فلم تخل كتبهم من الحديث في هذا الموضوع وإعطاء بعض التعليلات لورود مثل هذه المسائل في آيات القرآن الكريم، وخاصة منهم الزمخشري في كشّافه والقرطبي

---

(١) الجنى الداني: ٤٤٧.
(٢) ينظر: الكشاف: ٦٢٣/١، التعبير القرآني: ١٨٣-١٨٤
(٣) ينظر: الكشاف: ٦٤٣/١، مسائل الرازي وأجوبتها: ٧٣، التعبير القرآني: ١٨٣-١٨٤.

في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) والفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) وغيرها من التفاسير الأخرى.

أمّا كتب البلاغة والإعجاز فهي مليئة بهذه المسائل، فنجد أن الزركشي قد ذكر في كتابه (البرهان في علوم القرآن) نحو هذه المسائل وأفرد لها بعض الأبواب (مخاطبة المفرد بالجمع والجمع بالمفرد، والحمل على اللفظ والمعنى وغيرها من الأبواب الأخرى)، وذكر السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) و(معترك الأقران في إعجاز القرآن) مثل هذه الموضوعات.

أمّا في المجاز ومنه (التشبيه والاستعارة والكناية) فنجد أن خير من تطرق إليه هو الشيخ عبدالقاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) وكتابه الثاني (أسرار البلاغة) ومنهم الخطيب القزويني في كتابه (الإيضاح في علوم البلاغة).

أما كتب الحروف فمنها كتاب (الأزهية في الحروف) وقد تحدث فيه عن وقوع الحرف مكان حرف آخر أو تضمين الفعل معنى فعل آخر، ومنها كتاب (الجنى الداني في حروف المعاني) فقد سار مسار صاحب الأزهية.

أما المحدثون فلعل من أهم من كتب في هذه الموضوعات الدكتور فاضل صالح السامرائي في كتابه (معاني النحو) وكتابه الآخر (التعبير القرآني) وغيرها من مؤلفاته التي تخص القرآن الكريم، ومنهم أيضاً الأستاذ الدكتور عبدالستار الجواري في كتابه (نحو القرآن)، ومنهم أيضاً الأستاذ محمود البستاني في كتابه (دراسات فنية في صور القرآن) وكتاب (البلاغة فنونها وأفنانها) للدكتور فضل حسن عباس.

الفصل الأول

التغريب اللغوي
على مستوى حروف المعاني

أولاً: تضمين حروف الجر

ثانياً: الذكر والحذف

- الذكر والحذف في حروف الجر
- الذكر والحذف في حرف الواو خاصة

أولاً : تضمين حروف الجر

تؤدي حروف الجر وظائف معنوية دقيقة في الجملة فضلاً عن كونها وسيلة من وسائل الربط، فقد يؤدي كل حرف من هذه الحروف أكثر من معنى وذلك يرجع إلى السياق الذي يرد فيه. فالحرف الذي يكون له معنى في سياق ما قد يدل على معنى مغاير في سياق آخر.

وقد تصرّف القرآن الكريم في هذه الحروف ((تصرفاً لا توافقه قواعد النحو ولا أصول اللغة التي قعدت في الإحاطة به فانتقصت من الدقة في أداء المعاني على الوجه الذي أدته العبارة القرآنية))[١]، إذ أن بعض النحاة كان لهم نظرة قاصرة في الحكم على هذه الحروف، فعالجوها من ناحية الإعراب فقط ولم يلتفتوا إلى المعاني التي وضعت لها من خلال السياق الذي جاءت به، فالمعنى عندهم أمر هين ((إذ يقع الحرف عندهم موقع حرف آخر))[٢]، ومن ذلك آراؤهم في قوله تعالى: ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[٣] فإنهم يقولون أن (في) هنا بمعنى (على)[٤]. ومن ذلك أيضاً قولهم أن (على) تأتي موافقة (اللام)[٥] كما في قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[٦] وهكذا يفعلون مع كل الحروف التي تأتي على هذا الباب، ((وهذا يدل بوضوح على تجاهل الجانب اللغوي وانعزال قواعد النحو ووسائله عنه كأن التركيب مؤلف من مفردات تجردت عن مدلولاتها اللغوية))[٧].

وقد تطرق ابن جني إلى هذا في كتابه (الخصائص) تحت عنوان (استعمال الحروف بعضها مكان بعض) إذ ذكر في بداية الباب أن ((هذا باب يتلقاه الناس مغسولاً ساذجاً من الصنعة. وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه، ذلك أنهم يقولون: أن (إلى) تكون بمعنى (مع) ويحتجون لذلك بقوله سبحانه ((من أنصاري إلى الله))[٨] أي مع الله))[٩].

وأحسب أنهم أخطأوا في هذا التقدير، في وضع الحرف مكان حرف آخر، لأن القرآن الكريم قد وضع كل حرف مكانه المناسب في السياق، فإذا ما أزيل هذا الحرف عن مكانه

---

(١) نحو القرآن: ٥٦.
(٢) المصدر نفسه: ٦٠.
(٣) سورة طه: ٧١.
(٤) ينظر: معاني القرآن: ٢/١٨٦-١٨٧، الأزهية في علم الحروف: ٢٧٧، الجنى الداني: ٢٦٦.
(٥) ينظر: الجنى الداني: ٤٤٧.
(٦) سورة المائدة: ٥٤.
(٧) نحو القرآن: ٦٠.
(٨) سورة الصف: ١٤.
(٩) الخصائص: ٢/٣٠٨-٣٠٩.

ووضع بدلاً منه حرف آخر فإن ذلك يؤدي حتماً إلى إخلال في المعنى ونقص في المدلول القرآني.

على أن بعض العلماء قد جعلوا هذه الظاهرة من باب التوسع في الكلام إذ أن ((الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر و كان احدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه))(١). ويوضح لنا ابن جني بعد ذلك كلامه بضرب بعض الأمثلة من القرآن الكريم والتي جاء فيها الفعل متضمناً معنى فعل آخر (وذلك كقوله عز اسمه ((**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**)(٢) وأنت لا تقول: رفثت الى المرأة وإنما تقول: رفثت بها، أو معها، لكنه لمّا كان الرفث هنا في معنى الإفضاء وكنت تُعدّى أفضيت بـ(إلى) كقولك: أفضيت إلى المرأة، جئت بـ(إلى) مع الرفث، إيذاناً وإشعاراً أنه بمعناه))(٣). وقد سار بعض النحاة على ما سار عليه ابن جني في هذا الباب الذي يسمى بالتضمين، وذلك كقولهم في ﴿**فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى**﴾ (٤) فانه ((لما كان المعنى أدعوك جاء بإلى))(٥).

وأظن أن هذا القول هو الأقرب إلى الصحة، إذ أن الفعل قد يكون بمعنى فعل آخر قريب منه في المعنى، لهذا يؤتى بحرف يناسب ذاك الفعل، ويُعطى معنى إضافيٌ للفعل المذكور، وهذا ما يسمى بالتوسع في المعنى، أما القرينة التي تدل على ذلك المعنى الإضافي وعلى هذا التوسع فهي حرف الجر الذي يأتي مع ذلك الفعل. وسوف نوضح هذا بالأمثلة إن شاء الله.

١ـ في

(١) الخصائص: ٢/٣١٠.
(٢) سورة البقرة: ١٨٧.
(٣) الخصائص: ٢/٣١٠.
(٤) سورة النازعات: ١٨.
(٥) التبيان: ٢/٢٨٠، الجنى الداني: ٣٧٥، البرهان: ٣/٣٨٩.

من حروف الجر التي ذكر لها النحاة عدة معانٍ منها الظرفية والمصاحبة والتعليل والاستعلاء وغيرها.

ونجد أن القرآن الكريم قد تصرف في هذا الحرف تصرفاً بديعاً من خلال السياق القرآني، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [1] وهو قول فرعون للسحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام. فنجد أنه جاء بحرف الجر (في) ولم يأت بـ(على) لأن الصلب كما نعلم يكون على الشيء وليس فيه.

وقد ذكر بعض العلماء والمفسرين عدة آراء في هذه الآية، منها قولهم أنه يصلح أن تكون (على) مكان (في) في هذه الآية[2] فنجدهم قد وضعوا حرفاً مكان حرف آخر، وهذا من الإخلال في المعنى المقصود.

وقال غيرهم أنه سبحانه ((عبر عن الاستعلاء بالظرف إشارة إلى تمكينهم من المصلوب فيه تمكين المظروف في ظرفه فقال: (في جذوع النخل) تبشيعاً لقتلكم ردعاً لأمثالكم))[3] فجعل الحرف (في) هنا للاستعلاء.

وهناك رأي ثالث يقول أن (في) هنا على بابها((لأن الجذع مكان للمصلوب ومحتوٍ عليه))[4]، ويبدو أنه أصح الآراء.

وقيل إن ((فرعون نقر الخشب وصلبهم في داخله فصار ظرفاً لهم حقيقة حتى يموتوا فيه جوعاً وعطشاً))[5].

وهكذا نرى أن(في) هنا جاء في موضعها ولم تأت بمعنى حرف آخر كما قيل من بعض العلماء والمفسرين.

ومن الآيات التي جعلوا فيها حرفاً مكان حرف آخر قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾[6] فقالوا إن الحرف (في) الذي في قوله تعالى(يذرؤكم فيه) بمعنى (الباء) أي: يذرؤكم به[1].

---

(1) سورة طه: ٧١.
(2) ينظر: معاني القرآن: ١٨٦/٢، الأزهية: ٢٧٧، التبيان: ١٢٤/٢، الجنى الداني: ٢٦٦.
(3) نظم الدرر: ٣٠/٥. وينظر: مغني اللبيب:١٦٨/١.
(4) التبيان في إعراب القرآن: ١٢٤/٢.
(5) البحر المحيط: ٣٥٨/٧.
(6) سورة الشورى: ١١.

وقد ردّ ابن هشام هذا بقوله: ((وليس منه–أي من معنى الباء– قوله تعالى: (يذرؤكم فيه) خلافاً لزاعمه بل هي للسببية، أي يكثركم بسبب هذا الجعل))(٢).

وقد تابع قوله في هذا ((والأظهر قول الزمخشري إنها للظرفية المجازية))(٣) إذ يقول الزمخشري أنه سبحانه ((جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير. ألا تراك تقول للحيوان في خلق الأزواج تكثير؟ كما قال تعالى (**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ**)(٤)))(٥).

وهكذا نجد الحرف (في) قد صرف الفعل (يذرؤكم) إلى أكثر من معنى فهو بالإضافة إلى معناه الأصلي قد دلّ على التكثير والبث وهذا من باب التوسع في المعنى.

ومما ذهب إليه هؤلاء النحاة والمفسرون في هذا الباب جعلهم (في) بمعنى (إلى) وجعلوا من ذلك قوله تعالى: ﴿**فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ**﴾(٦) فقالوا إن (في) هنا بمعنى (إلى)(٧).

وقد ذهب غيرهم إلى أن (في) هنا جاءت على بابها ((قال الرازي في اللوامع: حكى أبو عبيد: كلمته في حاجتي فرد يده في فيه. إذا سكت ولم يجب))(٨).

وعلى هذا نجد أن الحرف (في) له دلالة لا توجد في (إلى) فإذا قلنا (رد يده في فيه) فإنها تدل على السكون التام المطبق على الفم فهو قد أطبق على مكان الكلام وهو الفم، أما إذا قلنا (رد يده إلى فيه) ونريد أنه سكت فهذا لا يدل على السكوت التام المطلق، كما أن تعدية الفعل (ردّ) بإلى يفيد أن مكان اليد في الأصل هو الفم كما لو قلنا رد الكتاب إلى صاحبه.

٢ـ إلـى:

وهو حرف كثير الاستعمال في اللغة العربية، وقد جعل العلماء له عدة معانٍ منها انتهاء الغاية الزمانية والمكانية والتبيين والتوكيد، والمعية وتكون موافقة لـ(في) و(عن) و(اللام)(٩).

---

(١) ينظر: معاني القرآن: ٢٢/٣، الجنى الداني: ٢٦٧، البحر المحيط: ٣٢٦/٩، التأويل النحوي: ٢٥٩/٢.
(٢) مغني اللبيب: ١٦٩/١.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) سورة البقرة: ١٧٩.
(٥) الكشاف: ٤٦٢/٣.
(٦) سورة إبراهيم: ٩.
(٧) ينظر: الأزهية: ٤١٥، الجنى الداني: ٧٤٩، مغني اللبيب: ١٦٩/١.
(٨) نظم الدرر: ١٧٤/٤.
(٩) ينظر: الأزهية: ٢٨٢–٢٨٤، الجنى الداني: ٣٦٣–٣٧٦، مغني اللبيب: ٧٤/١–٧٦..

ومما عده العلماء من هذا الباب في القرآن الكريم وهو جعل الحرف مكان حرف آخر قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾[١] فقد قال بعضهم أن (إلى) هنا بمعنى (مع) ونسبوا ذلك إلى قول الكوفيين وجماعة من البصريين[٢].

وليس هذا هو المراد من الآية الكريمة وإنما المقصود منها هو من ينصرني حتى أصل إلى الله، فـ(إلى) هنا هي بمعنى انتهاء الغاية[٣] فأعطى هذا الحرف للفعل معنىً إضافياً وهو الوصول. أما إذا قلت من ينصرني مع الله فانه يحتمل أن يكون المعنى : من ينصرني وينصر الله، وليس هذا هو المقصود كما بيّنا، وعلى هذا فإن من يقول أن (إلى) هنا بمعنى (مع) ليس مصيباً لأنه إخلال في معنى الآية الكريمة.

ومما حمله بعض العلماء على التضمين من الآيات القرآنية قوله تعالى: ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾[٤] إذ يقولون((إنما تقول هل لك في كذا، لكنه لما كان على هذا دعاء منه ﷺ صار تقديره: أدعوك وأرشدك إلى أن تزكى))[٥] أي أن الأصل في هذا هو مجيء (في) بدلاً من (إلى) ولكن الآية هنا جاءت بمعنى أدعوك ولذلك صلحت (إلى).

وقال بعضهم أن العرب تقول((هل لك في كذا، أو هل لك إلى كذا؟ فيحذفون القيد الذي تتعلق به إلى، أي هل لك رغبة أو حاجة إلى كذا؟ أو سبيل إلى كذا؟))[٦].

وأظن أن (إلى) هنا جاءت لتعطي الآية معانيَ جديدة وهي الدعوة والإرشاد لفرعون لكي يتزكى، وهذا الحرف هو القرينة التي أعطت للآية هذه المعاني المجازية مع بقاء المعنى الحقيقي للآية الكريمة.

وجعلوا من ذلك قوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ﴾[٧] أيضاً فقالوا إن (إلى) بمعنى (في) أي: في يوم القيامة[٨].

فذكر بعضهم أن (إلى) هنا جاءت على بابها ((أي ليجمعكم في القبور أو من القبور))[٩]، وقيل أن الفعل (يجمعنكم) يتضمن معنى (الحشر) فيعدّى بـ(إلى) [١٠].

---

(١) سورة الصف: ١٤.
(٢) ينظر: مغني اللبيب: ٧٥/١، الأزهية: ٢٨٢، الجنى الداني: ٣٧٣-٣٧٤.
(٣) ينظر: الخصائص: ٣٠٩/٢، الكشاف: ١١/٤، الجنى الداني: ٣٧٣-٣٧٤، معاني النحو: ١٦/٣-١٧.
(٤) سورة النازعات: ١٨.
(٥) الخصائص: ٣١١/٢-٣١٢. وينظر: التبيان: ٢٨٠/٢، الجنى الداني: ٣٧٥، البرهان: ٣٨٩/٣.
(٦) البحر المحيط: ٣٩٨/١٠. وينظر: تفسير القاسمي: ٤٥/١٠.
(٧) سورة النساء: ٨٧.
(٨) ينظر: التبيان: ١٨٩/١، الجنى الداني: ٣٧٥، البحر المحيط: ٦/٤، مغني اللبيب:٧٥/١، التأويل النحوي: ١٢٥٧/٢.
(٩) التبيان: ١٨٩/١. وينظر: البحر المحيط: ٦/٤.
(١٠) ينظر: البحر المحيط: ٦/٤، التأويل النحوي: ١٢٥٧/٢.

والحقيقة أن (إلى) هنا جاءت على بابها ، فهي هنا تدل على انتهاء الغاية الزمانية، فالمعنى أن الله تعالى سيجمع هؤلاء عند قيام الساعة وأن هذا الجمع مستمر بلا وقت حتى انتهاء الحياة الدنيا، والله أعلم.

٣- (على)

وهو كثير الاستعمال في القرآن الكريم واللغة العربية، وقد ذكر له العلماء عدة معانٍ، منها: المصاحبة والمجاوزة والتعليل، وقد يكون بمعنى (من) أو موافقاً (للباء)، وأشهر هذه المعاني هو الاستعلاء[١]، فأكثر ما يأتي هذا الحرف في القرآن الكريم لهذا المعنى.

وذكر بعض العلماء أن (على) تأتي بمعنى اللام ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[٢] فـ((على موافقة اللام))[٣].

ومنهم من قال أن الذل في هذه الآية تضمن معنى الحنو والعطف ولهذا عُدّي بـ(على)، أي أنهم حانّون وعاطفون على المؤمنين [٤].

وبعد هذه الأقوال، أجد أن (على) هنا جاءت بمعنى الاستعلاء إذ أن الآية توحي بأن هذا الذل ليس ذل هوان ولا ضعفاً، وإنما هو ذل استعلاء ((فمع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم))[٥]، ومع هذه الدلالة فان الذل هنا دال على أنه متضمن معنى الحنو والعطف على المؤمنين، وهذا التضمين أعطى الآية صبغة جمالية، وأضاف لها ظلالاً وأحاسيس أثارت مشاعر القارئ.

ومما حمله بعض النحاة على الباب قوله تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ۞الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ**﴾[٦].

فقد قال بعضهم أن(على) بمعنى (من)[٧]، وذكر الفرّاء أنه ((يريد اكتالوا من الناس وهما تتعاقبان – على ومن– في هذا الموضع، لأنه حق عليه، فإذا قال اكتلت عليك، فكأنه قال:

---

(١) ينظر: الأزهية: ٣٨٥–٣٨٨، الجنى الداني: ٤٤١–٤٤٧، مغني اللبيب: ١/١٤٣–١٤٤.
(٢) سورة المائدة: ٥٤
(٣) الجنى الداني: ٤٤٧
(٤) ينظر: الكشاف: ١/٦٤٣، مسائل الرازي وأجوبتها: ٧٣، تفسير القاسمي: ٦/٢٥٥–٢٥٦، التعبير القرآني: ١٨٣–١٨٤، أسرار جمالية قرآنية: ٤٣–٤٤.
(٥) الكشاف: ١/٦٢٣. وينظر: التعبير القرآني: ١٨٣–١٨٤.
(٦) سورة المطففين: ١–٢.
(٧) الأزهية: ٢٨٦. وينظر: الجنى الداني: ٤٤٥، مغني اللبيب: ١/١٤٤.

أخذت ما عليك، وإذا قال: اكتلت منك فهو كقولك: استوفيت منك))[1]، ويبدو أن كلام الفـرّاء غيـر دقيق لأن القرآن لا يعدل من تعبير إلى تعبير آخر إلا لدلالة ما يريد أن يبينها بهذا العدول.

وقد ذكر أن((البصريين يذهبون في هذا إلى التضمين. أي: إذا حكموا على النـاس فـي الكيل))[2].

والظاهر في الآية أن هناك فرقاً بين قولك: اكتال منه، واكتال عليه. فـالأولى لا تحـس معها بصورة الظلم والبخس الذي وقع على مال الآخرين، أما التعبير الآخر فأنه يوحي بالتسلط والاستعلاء والتمكن في أخذ مال الآخر و الاستحواذ عليه، وهذا ما فعله الحرف (على) الـذي يدل على الاستعلاء[3]، بالإضافة إلى تضمينه معنى التسلط والاستحواذ .

وهذا هو المعنى المجازي الذي أراد القرآن أن يبينه من خلال الإتيان بهذا الحرف.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ**﴾[4]، فـذكروا أن (علـى) جاءت موافقة لحرف الجر (مع) أي مع ظلمهم، وهي للمصاحبة[5].

وقال بعضهم الآخر أن المعنى المراد هو ((مع ظلمهم أنفسهم بالـذنوب ومحلـه الحـال بمعنى: ظالمين لأنفسهم))[6]، أي حال ظلمهم أنفسهم.

والظاهر أن الحرف (على) جاء للدلالة على الاستعلاء، لأن مغفرة الله تعالى كرم وعطاء وفضل بلا مقابل، فهي تعلو على ظلم الناس لأنفسهم ولغيرهم وهو ظلـم متـدنٍ معـدود فـي الرذائل. فمغفرة الله تعلو على ظلم الناس وهو وهم لاحق لهم فيها غير التفضل من الله تعـالى. فهذه الآية تدل على تخطي الخالق لعقبة من العقبات التي وقع فيها الناس وهي الذنوب، فعلـى الرغم من ظلم أنفسهم يتجاوز الله عن هذا الظلم ويعلو عليه بالمغفرة لهم.

٣ـ من

(1) معاني القرآن: ٣/٢٤٦.
(2) الجنى الداني: ٤٤٥.
(3) معاني النحو: ٣/٤٩-٥٠ بتصرف.
(4) سورة الرعد: ٦.
(5) ينظر: الجنى الداني: ٤٤٤، مغني اللبيب: ١/١٤٣.
(6) الكشاف: ٢/٣٥٠. وينظر: التبيان: ٢/٦١، الحر المحيط: ٦/٣٥٣، تفسير الرازي: ١٩/١٠، نظم الدرر: ٤/١٢٧.

حرف له عدة معانٍ كما بيّنها أهل اللغة، منها ابتداء الغاية والتبعيض والتعليل والبدل، وقيل أنها تأتي بمعنى عن والباء وفي وموافقة (عند) وقد تأتي لبيان الجنس وغيرها من المعاني الأخرى(1).

ومن الآيات التي عالجها العلماء والمفسرون وهي تخص هذه المعاني لهذا الحرف قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ**﴾(2) فقالوا إن (من) في هذه الآية بمعنى (في) أي في يوم الجمعة(3).

وأرى أن هذا التفسير فيه شيء من عدم الدقة في المعنى، لأن الله تعالى لو أراد هذا المعنى لقال (في يوم الجمعة)، لكنه لما أراد أن يخصص الوقت الذي ينادى فيه للصلاة بالسعي إلى ذكر الله وترك البيع جاء بالحرف (من) الذي يدل على ابتداء الغاية الزمانية وتحديد ذلك الوقت، فالنداء للصلاة ليس شاملاً ليوم الجمعة كله. فالمعنى هو إذن أذان صلاة الجماعة ظهراً.

ومن المعاني التي ذكروها لهذا الحرف أيضاً موافقته لـ(على) وعدوا من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾(4) فمعنى نصرناه من القوم: أي على القوم(5) فوضعوا الحرف (على) مكان (من).

ويبدو أن هناك من ذهب إلى تضمين الفعل (نصرناه) معنى منعناه ونجيناه بالنصر من القوم(6).

والذي يبدو في هذه الآية أن الله تعالى قد نصر سيدنا نوحاً عليه السلام من كيد الكافرين، فهذا النصر ليس نتيجة لحربٍ أو ملاقاةٍ بين نوح وقومه حتى يقال أنه انتصر عليهم، وإنما هو تخليص من الله تعالى له من قومه ولهذا قال: ﴿**وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾(7) يقول الزمخشري ((هو نصر الذي مطاوعه انتصر، وسمعت هذلياً يدعو على سارق: اللهم انصرهم منه، أي اجعلهم منتصرين منه))(8). ولذلك نجده جاء بـ(من) ليضيف إلى النصر معنى التخليص والنجاة وبمعنى أنصفناه وأخذنا حقه منهم.

---

(1) ينظر: الأزهية: ٢٩٢- ٢٩٣، الجنى الداني:٣١٤-٣٢٠، مغني اللبيب: ٣١٨/١-٣٢٣.
(2) سورة الجمعة: ٩.
(3) ينظر: التبيان: ٢٦٢/٢، مغني اللبيب: ٣٢١/١، التأويل النحوي: ١٢٦٠/٢.
(4) سورة الأنبياء: ٧٧.
(5) ينظر: الأزهية: ٢٩٣، الجنى الداني: ٣١٨، مغني اللبيب: ٣٢٢/١، البحر المحيط: ٤٥٤/٧.
(6) ينظر: الجنى الداني: ٣١٨، البحر المحيط: ٤٥٤/٧، مغني اللبيب: ٣٢٢/١.
(7) سورة الأنبياء: ٧٧.
(8) الكشاف: ٥٧٩/٢.

٥ـ الباء:

وهو حرف جر كثير الاستعمال في العربية، وقد وضع له العلماء عدة معان ودلالات يخرج إليها، منها: الإلصاق، وهو الأشهر بين المعاني، ومنها التعدية والاستعانة والسببية والمصاحبة والظرفية وتأتي بمعنى (من) و(على) و(في) و(مع) وتكون بمعنى (من أجل)[١]، وقد وجد هؤلاء العلماء أمثلة لهذه المعاني والدلالات في اللغة العربية والقرآن الكريم.

ومن هذه المعاني التي أوجدها بعض هؤلاء العلماء قوله تعالى: ﴿ **عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً**﴾[٢] فقالوا إن الباء هنا بمعنى (من)، أي يشرب منها، فهي للتبعيض، واثبت ذلك الأصمعي والفارسي والقتبي وابن مالك[٣]، وقد ضمن بعضهم ((يشرب معنى يروي فعدى بالباء))[٤].

ويبدو أنهم ابتعدوا عن المعنى الحقيقي المراد من الآية الكريمة، فالباء هنا ليست للتبعيض كما زعموا، فهي ليست بمعنى (من) وإنما جاءت على بابها وعلى أصلها الذي وضعت له، فهي هنا للإلصاق والمعنى هنا يكون الاستمرار والدوام والإكثار من الشرب، فهم لايشبعون منها لطيبتها، إذ أن الزمخشري يقول: ((أما العين فبها يمزجون شرابهم، فكأن المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل))[٥] ولهذا جاء بالباء الدالة على الإلصاق[٦]، فالإلصاق هنا مجازي يعني الاستمرار.

ومن المعاني الأخرى التي أوجدوها لهذا الحرف في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**﴾[٧]، إذ قال بعضهم أن الباء في هذه الآية بمعنى (عن)، فالمقصود منها سأل سائل عن عذاب واقع، فهو للمجاوزة، وقالوا إن ذلك كثير بعد السؤال، وأن هذا المعنى منقول عن الكوفيين[٨]. وأما البصريون فقد جعلوا معنى الباء هنا للسببية لا بمعنى (عن)[٩].

---

(١) ينظر: الأزهية: ٢٩٤-٢٩٧، الجنى الداني: ١٠٢-١٠٨، مغني اللبيب: ١/١٠١-١٠٦.
(٢) سورة الانسان: ٦.
(٣) ينظر: الأزهية: ٢٩٤، الجنى الداني: ١٠٦، مغني اللبيب: ١/١٠٥.
(٤) البحر المحيط: ١٠/٣٦٠-٣٦١. وينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/٣٨٩.
(٥) الكشاف: ٤/١٩٦. وينظر: البحر المحيط: ١٠/٣٦٠-٣٦١.
(٦) ينظر: معاني النحو: ٣/٢٥.
(٧) سورة المعارج: ١.
(٨) ينظر: الأزهية: ٢٩٥، الجنى الداني: ١٠٦، البحر المحيط: ١٠/٢٧١.
(٩) ينظر: مغني اللبيب: ١/١٠٤.

والذي يرجع إلى سبب نزول هذه الآية يتضح له أن هذا المعنى ليس هو المراد منها، وليس هو المعنى الصحيح، ((وعن ابن عباس أن النضر بن الحارث قال حين خوفهم رسول الله ﷺ من عذاب الله (**وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ**) [١] فأنزل الله: ﴿ **سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۞ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ**﴾))[٢]، فالسؤال هنا بمعنى الدعاء وهو ((من قولك دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى: ﴿ **يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ**﴾[٣]))[٤] وهكذا نجد أن الباء هنا جاءت على أصلها وليس المراد منها معنى (عن) وقد ضمنت الفعل (سأل) معنى إضافياً هو الدعاء والطلب.

ومن الآيات التي جاء بها حرف (الباء) وجعلوه بمعنى حرف آخر قوله تعالى: ﴿ **فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً** ﴾[٥]، فقالوا أن الباء في قوله (به) بمعنى (عن) أي: ((فاسأل عنه خبيرا، وهو قول الأخفش))[٦].

ومن العلماء والمفسرين من قال إن (الباء) في هذه الآية جاءت على حقيقتها وفي بابها، فقد أنكر علي بن سليمان جعل حرف الجر (عن) مكان(الباء) إذ قال أن((أهل النظر ينكرون أن تكون الباء بمعنى عن، لأن هذا إفساد لمعاني قول العرب: لو لقيت فلاناً للقيك به الأسد، أي للقيك بلقائك إياه الأسد. المعنى فسأل بسؤالك إياه خبيرا))[٧].

وقد ((تأول البصريون (فاسأل به خبيرا) على أن الباء للسببية، وزعموا أنها لا تكون بمعنى (عن) أصلاً، وفيه بُعد؛ لأنه لا يقتضي قولك ((سألت بسببه)) أن المجرور هو المسؤول عنه))[٨].ويبدو أن رأي علي بن سليمان هو الراجح من بين الآراء الأخرى.

٦ـ اللام

وهذا الحرف له معان كثيرة في العربية و منها الاستحقاق والاختصاص والملك والتمليك والتعليل والنسب والتبيين والقسم والتعدية والصيرورة والتبليغ وأن تكون بمعنى (إلى) لانتهاء

---

(١) سورة الأنفال: ٣٢.
(٢) صفوة التفاسير: ٤٤٣/٣.
(٣) سورة ص: ٥١.
(٤) الكشاف:١٥٦/٤، البحر المحيط: ٢٧١/١٠. وينظر: معاني النحو: ٢٢/٣.
(٥) سورة الفرقان: ٥٩.
(٦) تفسير الرازي: ٩١/٢٤. وينظر: الأزهية: ٢٩٥، الجنى الداني: ١٠٥، التبيان: ١٦٤/٢، مغني اللبيب: ١٠٤/١.
(٧) تفسير القرطبي: ٥١/١٣،. وينظر: البحر المحيط: ١٢١/٨.
(٨) مغني اللبيب: ١٠٤/١.

الغاية وتكون بمعنى (عن) وتكون بمعنى (على) وبمعنى (عند) و(بعد) و(مـن) وغيرهـا مـن المعاني التي ذكرت في كتب النحو وحروف المعاني[1].

ونجد أن بعض العلماء والمفسرين قد ذكروا أن هذه اللام قد جاءت في القرآن الكريم وقد دلت على معنى حرف آخر، من ذلك قوله تعالى في سـورة الزلزلـة : ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۞ وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا**﴾[2] فاللام من قوله (أوحى لها) بمعنى (إلى) كما ذهب بعض العلماء إلى ذلك إذ قالوا إن (لها) هنا أي إليها. والعرب تضع لام الصفة موضع (إلى). قال العجاج يصف الأرض:

وحى لها القرار فاستقرت   وشدّها بالراسيات الثبّت[3]

وهذا قول أبي عبيدة: (((أوحى لها) أي إليها))[4]، وقد ورد عن بعضهم أن ذكر اللام هنا بدل ((إي مراعاة لفواصل السورة))[5].

وذهب فريق آخر إلى أن هذه اللام هي ((لام التعليل، أو المنفعـة لأن الأرض بتحـديثها بعمل العصاة يحصل لها تشف منهم بفضحها إيـاهم بذكر قبائـحهم والمـوحى إليـه هـي أيضاً))[6]، وقد ذكر أن هذه اللام هي ((للاختصاص))[7].

وبعد ذكر هذه الآراء يتبين أن الفعل (أوحى) في هذه الآية قد ضمن معنـى (بـين لهـا) وأوضح لها ما هو خير أو شر من أعمالهم، وهذا المعنى من المعاني المجازيـة فـي القـرآن الكريم لأن الأرض لا تعي شيئاً.

ومن الآيات التي ذكرت فيها لام الجر وقالوا أنها بمعنى حرف آخر قوله تعالى: ﴿**يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً** ﴾[8] إذ قال بعضهم أن اللام في قوله (للأذقان) بمعنى على الأذقان[9]. فوضعوا حرف الجر (على) بمعنى اللام.

---

(1) ينظر: الأزهية: ٢٩٨-٣٠٠، الجنى الداني: ١٤٣-١٥٠، مغني اللبيب: ٢١٨/١-٢١٩.
(2) سورة الزلزلة: ١-٥.
(3) ديوان العجاج: ٢٦٦.
(4) تفسير القرطبي: ١٠٧/٢٠. وينظر: مجاز القرآن: ٣٠٦/٢، الكشاف: ٢٧٦/٤، روح المعـاني: ٣٧٦/١٦، تفسـير الرازي: ٥٧/٣٢، الجنى الداني: ١٤٥، مغني اللبيب: ٢١٢/١، معاني النحو: ٦٢/٣.
(5) روح المعاني: ٣٧٦/١٦.
(6) روح المعاني: ٢٧٦/١٦. وينظر: تفسير الرازي: ٥٧/٣٢.
(7) معاني النحو: ٦٢/٣.
(8) سورة الإسراء: ١٠٧.
(9) ينظر: الأزهية: ٢٩٨، الجنى الداني: ١٤٦، مغني اللبيب: ٢١٢/١، روح المعاني: ٢٧٣/٩.

على أن كثيراً من العلماء قال أن اللام هنا تفيد الاختصاص ذلك لأنــه خــص الذقــن للسجود، وهو تعبير عن المبالغة في خرّ المؤمنين للسجود إلى الله تعالى والخشوع له[1]، ولــو أنه قال (خرّ على ذقنه) لما دلّ ذلك الخرّ على المبالغة في السجود لله تعالى عند ســماع آياتــه والخشوع فيه.

إذن اللام هنا جاءت في موضعها لتؤدي معنى المبالغة في السجود ولم تأت بمعنى حرف آخر كما ذكر بعضهم.

وقد ذكرت لام الجر في قوله تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْــسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾[2]، وقد جعل بعض العلماء هــذه اللام بمعنى (في) أي ((في يوم القيامة))[3]، ((وهو مذهب الكوفيين ووافقهم ابن قتيبة))[4].

أما البعض الآخر فقد ذكروا أن هذه اللام ((هي للتعليل، أي لأجل حساب يوم القيامــة أو لأجل أهله))[5]، وقد ذكر بعض المفسرين أنه ((لما كان يوم الجزاء علة في وضــع المقــادير، عبّر باللام ليشمل- مع ما يوضع فيه- ما وضع الآن لأجل الدينونة فيه))[6].

وهناك رأي ثالث يقول أن هذه اللام هي للاختــصاص، أي أن المعنــى ((لأهــل يــوم القيامة))[7].

والذي يبدو من هذه الآراء أن هذه اللام هي للتعليل، لأن العلة في وضع الموازين لأجــل حساب يوم القيامة.

وهذا المعنى لا يتحقق مع حرف الجر (في)، ((ويبدو أن هناك فرقاً بين قولنــا: مــضى لسبيله ومضى في سبيله، فإن قولك مضيت في سبيلي وامض في سبيلك معناه سر في الطريــق التي أنت سائر فيها. وأما قولك ((امض لسبيلك)) فمعناه: امض للطريق التي تريدها كما تقول: اذهب له وامض لعملك أي لأجله))[8].

---

(1) ينظر: الكشاف: ٤٧٠/٢، معاني النحو: ٦٤/٣.
(2) سورة الأنبياء: ٤٧.
(3) معاني القرآن: ٢٠٥/٢، الأزهية: ٢٩٩، الجنى الداني: ١٤٥، مغني اللبيب: ٢١٢/١، تفسير القرطبــي: ١٦٤/١١، روح المعاني: ٨٢/١.
(4) روح المعاني: ٨٢/١٠.
(5) روح المعاني: ٨٢/١٧.
(6) نظم الدرر: ٨٧/٥-٨٨.
(7) الكشاف: ٥٧٤/٢، تفسير الرازي ١٥٢/٢٢، القرطبي: ١٦٤/١١، روح المعاني: ٨٢/١٠ ، معاني النحو: ٦٥/٣.
(8) معاني النحو: ٦٥/٣.

٧- عـــن

من حروف الجر التي ذكر لها العلماء عدة معان يستدل عليها من خـــلال الـــسياق الـــذي تجيء فيه وهذه المعاني هي المجاوزة والبدل والاستعلاء والتعليل ومرادفة بعد ومِـــن والبـــاء والاستعانة، أن تكون زائدة للتعويض من أخرى محذوفة[١].

وقد ذكروا أن في القرآن الكريم بعض الآيات التي اشتملت على هذه المعاني، منها قولـــه تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[٢].

فقال بعضهم أن (عن) هنا بمعنى (الباء) أي ((وما ينطق بالهوى))[٣] إلا أن أكثر العلمـــاء قالوا أن حرف الجر (عن) هنا جاء على بابه وحقيقته ((وأن المعنى وما يـــصدر قولـــه عـــن هوى))[٤]، وهذا يعني تضمين الفعل ينطق معنى الصدور والانطلاق.

ومن الآيات الأخرى التي جعلوا فيها حرف الجر بمعنى حرف آخر قوله تعالى على لسان سيدنا سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾[٥].

فقالوا أن(عن) في هذه الآية بمعنى الاستعلاء ((أي قدمته عليه))[٦]، ومنهم مـــن يـــضمن أحببت ((معنى فعل يتعدى بعن، كأنه قيل: أنبت حب الخير عن ذكر ربي أو جعلت حب الخير مجزياً أو مغنياً عن ذكر ربي، وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيـــان أن أحببـــت بمعنـــى لزمت من قوله:

مثل بعير السوء إذا أحبا

وليس بذلك))[٧]، وقد ذكر صاحب التبيان أن المعنى ((عن أن يذكرني ربي))[٨].

أما الرأي الثالث فيقول أن (عن) هنا ((هي على بابها وتعلقها بحال محذوفة، أي منصرفاً عن ذكر ربي))[٩].

---

(١) ينظر: الأزهية: ٢٨٩-٢٩١، الجنى الداني: ٢٦١-٢٦٤، مغني اللبيب: ١/١٤٧-١٤٩.
(٢) سورة النجم: ٣-٤.
(٣) الأزهية: ٢٨٩، مغني اللبيب: ١٤٨/١.
(٤) مغني اللبيب: ١٤٨/١. وينظر: الكشاف: ٢٨/٤، معاني النحو: ٥٤/٣، ابن القيم وحسه البلاغي في القرآن: ٦٨-٦٩.
(٥) سورة ص: ٣٢.
(٦) مغني اللبيب: ١٤٧/١، معاني النحو: ٥٣/٣.
(٧) الكشاف: ٣٧٣/٣. وينظر: تفسير الرازي: ١٧٨/٢٦.
(٨) التبيان في إعراب القرآن: ٢١٠/٢.
(٩) مغني اللبيب: ١٤٧/١.

ويبدو أن هذه الآراء والمعاني ليست دقيقة في توضيح هذه الآية، فالرأي الأول الذي يقول أن الحرف (عن) هنا بمعنى الاستعلاء هو رأي ضعيف لأن ترك ذكر الله تعالى لا يعتبر استعلاءً عليه وهذا المعنى خاطئ أصلاً. أما الرأي الآخر القائل أن أحببت مضمن معنى الإبانة واللزوم والرأي الثالث الذي يقول انه كان منصرفاً عن ذكر الله تعالى فهما ضعيفان أيضاً، لأن الأنبياء عليهم السلام لا يصرفهم شيء عن ذكر الله تعالى حتى الجهاد في سبيله كما هو معلوم.

والرأي الراجح هو ((أن هذه المحبة الشديدة أنما حصلت عن ذكر الله وأمره لا عن الشهوة والهوى))[١].

أما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٢] فقد ذكروا أن حرف الجر (عن) بمعنى (من) أي ((من عباده))[٣].

و((يقال قبلت منه الشيء وقبلته عنه، فمعنى قبلته منه أخذته منه وجعلته مبدأ قبول ومنشأه، ومعنى قبلته عنه: عزلته عنه وأبنته عنه))[٤].

والأرجح أن (عن) جاءت هنا ((لأنه ضمّن التوبة معنى العفو والصفح))[٥]، وهذه المعاني المجازية التي ضمنت الآية إنما جاءت من خلال وجود حرف الجر (عن) وهي القرينة التي صرفت (التوبة) إلى هذا المعنى.

وبعد... فان هذه الحروف التي ذكرتها هي أشهر حروف الجر في العربية، وقد وجدنا أن بعض العلماء قد وضعوا لها هذه المعاني، وقد نقلوا هذه المعاني إلى القرآن الكريم وطبقوها عليه كما رأينا في وضع حرف مكان حرف آخر، ولكنهم بهذا ابتعدوا عن جادة الصواب في هذا الباب؛ إذ كان بإمكانهم تطبيق هذه القاعدة على الشعر والنثر – أي وضع حرف مكان حرف آخر– من غير أن يختلف المعنى – ولو أن هذا غير صحيح ولكن العرب استعملوا ذلك– إلا أننا لا نستطيع أن نرفع حرفاً واحداً من القرآن الكريم ونضع مكانه حرفاً آخر لأن ذلك سوف يخل بالمعنى المراد ويغيره.

وهذا يعد من التغريب اللغوي الذي جاء في القرآن الكريم إذ أننا نستطيع في غير القرآن– كما قلنا– أن نضع حرفاً مكان حرف آخر أو نقول أن هذا الحرف بمعنى ذاك، من دون أن يخل في المعنى أو السياق، إلا أننا لا نستطيع أن نفعل ذلك في آيات القرآن العظيم.

---

(١) تفسير الرازي: ١٧٨/٢٦.
(٢) سورة الشورى: ٢٥.
(٣) الأزهية: ٢٨٩، مغني اللبيب: ١٤٨/١.
(٤) الكشاف: ٤٦٨/٣. وينظر: تفسير الرازي: ١٤٥/٢٧، روح المعاني: ٥/٢٥.
(٥) البرهان في علوم القرآن: ٣٩٠/٣.

ويبدو مما تقدم أن الكوفيين هم الذين قالوا بنيابة حرف الجر مكان الحرف الآخر، وهناك مَن وافقهم من غير مذهبهم، أما البصريون فقد رفضوا هذه النيابة وذهبوا إلى تضمين الفعل معنى فعل آخر قريب من معناه.

وغير هذين المذهبين ظهر مذهب آخر أو رأي ثالث يقول: إن هذه الحروف جاءت على بابها وعلى حقيقتها، فلا يجوز أن نضع حرفاً مكان حرف آخر، ولا أن نضمِّن الفعل معنى فعل آخر قريب من معناه[1]. والراجح من هذه الآراء هو رأي البصريين القائل بتضمين الأفعال بعضها معنى الفعل الآخر، مع بقاء المعنى الحقيقي للفعل الموجود في الآية القرآنية كما هو الحال في المجاز.

ثانياً : الذكر والحذف

١. الذكر والحذف في حروف الجر:

(١) ينظر: الجنى الداني: ١٠٨-١٠٩، مغني اللبيب: ١/١١١، نحو القرآن: ٥٧،٦٠.

قد يحذف حرف الجر في التعبير القرآني وذلك لدلالة يدل عليها ذلك الحذف، فعلى سبيل المثال نجد أن هناك أفعالاً لا تتعدى إلا مع حرف من حروف الجر، ولكن القرآن الكريم يعمد إلى حذفها وتعدية ذلك الفعل من دونها، من ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(١) فالفعل (قعد) هنا لا يتعدى بنفسه وإنما يفتقر إلى حرف الجر (على) ولكننا نلحظ أن القرآن قد أزاح هذه القاعدة وخرج عنها، إذ أنه يأتي ببعض الأمور التي لاتوافق اللغة المعتادة.

يقول الفراء: ((المعنى- والله أعلم- لأقعدن لهم على طريقهم أو في طريقهم، وإلقاء الصفة من هذا جائز، كما قال قعدت لك وجه الطريق. وعلى وجه الطريق، لأن الطريق صفة في المعنى، فاحتمل ما يحتمله اليوم والليلة والعام إذا قيل: آتيك غداً أو آتيك في غد))(٢). وذكر الزمخشري أن حذف حرف الجر هنا وانتصاب الفعل على الظرفية كقولهم:

كما عسل الطريق الثعلب

وشبهه الزجّاج بقولهم (ضرب زيدٌ الظهر والبطن): أي على الظهر والبطن(٣).

وقد ذكر الكثير من العلماء أن مفعول (قعد) منصوب بنزع الخافض أو على الظرفية(٤). وهم هنا يقدرون حرف جر لهذا الفعل وهو (على).

ومنهم من ذهب إلى تضمين الفعل (قعد) معنى(ألزم) إذ قيل أن ((الصراط منصوب على المفعول به، أي لألزمن لهم صراطك، أو لأملكنه لهم، و(أقعد وإن كان غير متعدٍ ضمّن معنى فعل متعد))(٥).

وهكذا نجد من خلال ما عرضناه أن بعضهم يقول أنه يستوي في هذه الآية ذكر حرف الجر وعدمه، كما ذهب إلى ذلك الفراء وغيره، ولكنهم لم يبرروا العدول عن ذكر حرف الجر في هذه الآية، وما هو المراد من الحذف، وكذلك الحال مع من ضمن الفعل (قعد) معنى (لزم) لم يبينوا القصد من ذلك التضمين، لأن القرآن الكريم لا يعدل من صيغة إلى أخرى إلا لدلالة ما كما بينا سابقاً.

---

(١) سورة الأعراف: ١٦.
(٢) معاني القرآن: ٣٧٥/١
(٣) ينظر: الكشاف: ٧٠/٢، البحر المحيط: ٢١/٥، ولم أعثر على كلام الزجاج في إعراب القران: ١١٧.
(٤) ينظر: الفتوحات الإلهية: ١٤/٣، مغني اللبيب: ١٤٢/١، تفسير المنار: ٣٣٧/٨، حاشية الصاوي: ٦٦٠/٢، تفسير القاسمي: ٣١/٧.
(٥) البرهان: ٣٩/٣. وينظر: البحر المحيط: ٢١/٥، تفسير المنار: ٣٣٧/٨.

ويبدو أن ذلك العدول كان بقصد إطلاق الفعل من القيد المعنوي بحرف الجر... فالمقصود هنا ((إطلاق المعنى من قيد الظرفية أوالاستعلاء أو نحو ذلك))[١]. إذ أنه لا يريد أن يقيد هذا الفعل بزمن أو مكان معينين أو يقصد به استعلاء الشيطان على البشر، وإنما المقصود التوسع في إغواء الشيطان للإنسان في كل زمان ومكان، لذلك أشار الله تعالى إلى ذلك بعد هذه الآية مباشرة إذ قال ﴿**ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾[٢] فهو يأتي للإنسان ويقعد له من جميع الجهات ومن كل الأماكن.

وهناك آية أخرى في القرآن الكريم تشابه هذه الآية وهي مخاطبة الله تعالى للمسلمين وأمرهم بقتل المشركين وحصارهم والتربص والقعود لهم ورصدهم، إذ يقول: ﴿**وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ**﴾[٣]، فكما قلنا في الآية السابقة أن الفعل (قعد) لا يتعدى إلا بأحد حروف الجر، ولكنه تعالى أراد إطلاق هذا الفعل والتوسع به وعدم تقييده بحرف من حروف الجر، فالقعود هنا يدل على الشمول والاتساع في الترصد للمشركين في كل وقت ومكان.

ومن التوسع في الكلام أيضاً ما ورد في قوله تعالى: ﴿**وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ**﴾[٤] فهذه الآية نزلت في نكاح المطلقة، فالله تعالى قد أمر بعدم نكاح المرأة المطلقة والمتوفى عنها زوجها حتى تكمل العدة.

ونجد أن الفعل (عزم) لا يتعدى وحده بل يفتقر إلى حرف الجر (على) ولكننا نجد أن العبارة القرآنية قد خرجت عن هذه القاعدة فعدته بنفسه من غير احتياج إلى حرف الجر، وقد ذكر العلماء لهذه الظاهرة عدة آراء وأقوال منها أن المعنى ((على عقدة النكاح))[٥]، وقال آخر أيضاً أن المعنى هنا ((ولا تعزموا على عقدة النكاح في زمان العدة ثم حذف على ما تقدم وحكى سيبويه: ضرب فلان الظهر والبطن أي على قال سيبويه والحذف في هذه الأشياء لا يقاس عليه))[٦].

ومنهم من ضمن الفعل (عزم) معنى العقد[٧] والتصميم[٨] والنية[١] والبت[٢] وهذه تتعدى بنفسها ولا تحتاج إلى حرف جر.

---

(١) نحو القرآن: ٥٥.
(٢) سورة الأعراف: ١٧.
(٣) سورة التوبة: ٥.
(٤) سورة البقرة: ٢٣٥.
(٥) التبيان: ٩٩/١. وينظر: البحر المحيط: ٥٣٨/٢، تفسير المنار: ٤٢٧/٢٠، حاشية الصاوي: ٢٠٠/١.
(٦) القرطبي: ١٤٧/٣.
(٧) ينظر: التبيان: ٩٨/١.
(٨) ينظر: تفسير المراغي: ٢٣٤/١.

وقد ذكر صاحب المغني أنه((قد يُشربون لفظاً معنى لفظ فيعطونه حكمه، ويسمى ذلك تضميناً. وفائدته: أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين .. ومن مثل ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ**﴾ أي لا تنووا، ولهذا عدي بنفسه لا بـ(على)))[٣].

ويبدو أن هذه الآراء التي ذكروها في تضمين هذا الفعل كلها قريبة من المعنى المراد من الآية، اذ أن المراد من الآية الكريمة كما أظن أنه تعالى نهى عن جميع الأمور التي تصرح بنكاح المرأة المتوفى عنها زوجها أو المطلقة حتى انتهاء العدة، ولذلك اسقطوا حرف الجر (على) ولو ذكر هذا الحرف لما دلت الآية على هذه المعاني الكثيرة.

وقد يؤدي هذا الحذف إلى حصول التباس في فهم المعنى المراد في بعض آيات القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ**﴾[٤].

فالفعل (رغب) لا يتعدى بنفسه وإنما يفتقر إلى حرف من حروف الجر، وهذا الحرف أما (في) أو (عن)، وهذا ما أوقع بعض العلماء والمفسرين في بعض الالتباس، لأنه هنا عدّي بنفسه، والرغبة أما أن تكون في الشيء وهي رغبة ايجابية، وأما أن تكون عنه وهي رغبة سلبية، ولهذا ذكر بعضهم أن الرغبة هنا هي رغبة سلبية أي(عن أن تنكحوهن) إذ يقول (((ترغبون) أيها الأولياء عن (أن تنكحوهن) لدمامتهن وتعضلوهن))[٥].

واحسب أن الرغبة هنا هي رغبة ايجابية ((لأن معنى الفعل أصلاً هو المعول له، والحرف هو الذي يحدد علاقته بالمفعول سلباً أو إيجاباً. والأصل في الرغبة أن تكون ميلاً ايجابياً إلى المرغوب، أي أن تكون رغبة في الشيء))[٦]، أو إنهم يرغبون في نكاح الفتاة اليتيمة من دون صداق أو بصداق زهيد إذ لا ولي لها، وهذا هو المعنى المراد.

وقد يُذكر حرف الجر في التعبير القرآني مع أفعال تتعدى بنفسها ولا تحتاج إلى حرف جر لتلك التعدية، إلا أنه يريد أن يبين وينبه على معنى إضافي تدل عليه تلك التعدية بهذه الحروف في آيات القرآن الكريم.

---

(١) ينظر: التبيان: ١/٩٨.
(٢) ينظر: نظم الدرر: ١/٤٤٤.
(٣) مغني اللبيب: ٢/٦٨٥.
(٤) سورة النساء: ١٢٧
(٥) حاشية الصاوي: ٤٤١
(٦) نحو القرآن: ٥٤.

ومن الآيات التي جاء فيها الفعل متعدياً ومع ذلك ذكر معه حرف الجر قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١]، فالفعل (خالف) هو فعل متعد ولا يفتقر إلى حرف من حروف الجر لتعديته فالأصل أن تقول (خالف الشيء ويخالفون أمره)، إلا أنه جاء هنا متعدياً بحرف الجر (عن) ولابد لهذه التعدية من دلالة تدل عليها.

ونرى أن العلماء قد تكلموا كثيراً في هذه الظاهرة وكلٌ أدلى بدلوه، فمنهم من ضمّن الفعل (يخالفون) معنى الإعراض أو الصد[٢]، أو على معنى((يميلون ويعدلون))[٣]، وذكر أنه (يقال: خالفت زيداً من غير احتياج لتعديه بالجار، وإنما جاء محمولاً على (ينحرفون أو يزيغون)))[٤].

وهناك رأي آخر يقول أن (عن) في هذه الآية زائدة والمعنى (فليحذر الذين يخالفون أمره)[٥]، وهذا الرأي بعيد عن الصحة لأن القرآن الكريم لا يذكر شيئاً زائداً إلا لمعنى معين يريد أن يبينه ويوضحه.

أما الرأي الأول القائل بتضمين الفعل (خالف) معنى الإصرار والتعمد فهو الرأي الأظهر ((فمعنى(عن) هنا مقصود تقيد الفعل به ليستفاد مع المخالفة معنى الإصرار والعناد والإعراض عن أمر الله قصداً، وإلا فالمخالفة المطلقة قد تكون عن غفلة أو جهل أو عدم مبالاة، وهي إذن لا تنطوي في حكم أن تصيب المخالف فتنة أو يصيبه عذاب أليم))[٦]، وهكذا نجد أن حرف الجر (عن) قد أدى دلالة إضافية للمخالفة وهو التعمد والقصد فيها لا المخالفة التي تحصل من دون قصد وعن غفلة ونسيان.

ومن الأفعال التي جيء بها بحرف من حروف الجر وهو متعد بنفسه في الأصل في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[٧] فالفعل (أتوا) هنا هو فعل متعد ولايحتاج إلى حرف الجر مع أنه قد يأتي في بعض الأوقات مصحوباً بحرف الجر (إلى) إلا أنه جاء هنا متعدياً بـ(على) والأصل أن نقول: أتيت الوادي أو أتوا الوادي وأتوا إليه لا عليه.

---

(١) سورة النور: ٦٣.
(٢) ينظر: الفتوحات الآلهية: ٣٣٠/٥، الكشاف: ٧٩/٣، مسائل الرازي وأجوبتها: ٢٤٤، تفسير القاسمي: ٢٤٣/١٢.
(٣) التبيان: ١٦٠/٢.
(٤) البرهان: ٣٩٢/٣.
(٥) ينظر: مسائل الرازي وأجوبتها: ٢٤٤، القرطبي: ٢٤٨/١٢.
(٦) نحو القرآن: ٥٥.
(٧) سورة النمل: ١٨.

ولكن هذا الحرف (على) يصور لنا ((أن إتيانهم كان من فوق))[١] ومن شيء مرتفع وبهذا جاء بحرف الجر (على) الذي يدل على الاستعلاء، وقد ذكر ابن عطية ((أن سليمان وجنوده كانوا مشاة في الأرض ولذلك تهيأ حطم النمل بنزولهم في وادي النمل))[٢]، وقيل إنه ((يحتمل أنهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح، فأحست النمل بنزولهم في وادي النمل))[٣].

والجميل في ذلك أن الاستعلاء هنا هو من إدراك النمل ووعيه، وأي إنسان يسير في الأرض تكون قدماه فوق النمل وعليه وهذا يسحقه ويحطمه.

ومن خلال الأمثلة السابقة في زيادة حروف الجر مع بعض آيات القرآن الكريم يتضح لنا أن هذه الزيادة لم تأت حشواً في الكلام، ولا استطاعة لحذفها منه لأنها جاءت لتؤكد وتقرر معنى معيّناً أراده الله تعالى، لأن أية زيادة في الكلام يقابلها زيادة في المعنى، وهذا ما أراده الله جل جلاله في القرآن الكريم مع أنه تعالى عبر عن هذه المعاني الإضافية في صورة تلفت الانتباه وتخرج عن المألوف.

١. **الذكر والحذف في حرف الواو**

ذهب قوم من أهل اللغة إلى وجود واو تسمى (واو الثمانية) واثبتوا ذلك في بعض آيات القرآن الكريم ((منهم ابن خالويه والحريري وجماعة من ضعفة النحويين، قالوا: إن من خصائص كلام العرب إلحاق الواو في الثامن من العدد، فيقولون: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، وثمانية إشعاراً بأن السبعة عندهم عدد كامل))[٤] واستدلوا على ذلك بآيات من القرآن الكريم-كما قلنا- وسوف نوضح ذلك لاحقاً.

---

(١) الكشاف: ١٤١/٣، روح المعاني: ٢٦٢/١٩. وينظر: تفسير الرازي: ١٦١/٢٤، البحر المحيط: ٢١٨/٨.
(٢) البحر المحيط: ٢١٩/٨. وينظر: روح المعاني: ٢٦٢/٩.
(٣)البحر المحيط: ٢١٩/٨.
(٤) الجنى الداني: ١٩٤-١٩٥. وينظر: مغني اللبيب:٣٦٢/٢، البرهان: ٤٦٢/٤.

((وذهب المحققون إلى أن الواو في ذلك إما عاطفة و أما واو الحال ولم يثبتوا واو الثمانية وقد أنكر الفارسي واو الثمانية لما ذكرها ابن خالويه في باب المناظرة))[1]. وإنما جاءت هـذه الواو ((لمعان سامية، وأغراض لطيفة، تتفق مع بلاغة القرآن وسمو إعجازه))[2].

فمن الآيات التي استدلوا بها على وجود هذه الواو قولـه تعـالى: ﴿ **التَّـائِبُونَ الْعَابِـدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَـافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[3] فقد قال بعضهم ((إنما دخلت الواو في الصفة الثامنة إيذاناً بـأن السبعة عندهم عدد تام، ولذلك قالوا سبع في ثمانية: أي سبع أذرع في ثمانية أشبار، وإنما دلـت الواو على ذلك لأن الواو تؤذن بأن ما بعدها غير ما قبلها. ولذلك دخلـت فـي بـاب عطـف النسق))[4].

على أن أكثر العلماء قالوا بأن هذه الواو هي للعطف و((عن أبي الحـسن الحرانـي- إذا اتبعت بعض الصفات بعضاً من غير عطف علم أنها غير تامة ، فإذا عطفتها أردت التمكن فيها من العراقة والتمام ، فأعلم سبحانه أن المراد فيما تقدم من الأوصاف الإتيان بما أمكـن منهـا، فأتى بها إتباعاً من دون عطف لذلك، وأشار إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف عند الحدود لا يقع منه إلا بالتمام لأن المقصر بشيء من ذلك إما راضٍ بهدم الدين وإما هـادم بنفسه فيجب التجرد التام فيه لأن النهي أصعب أقسام العبادة لأنه متعلق بـالغير وهـو مثيـر للغضب موجب للحمية وظهور الخصومة، فربما كان عنه ضرب وقتل فلـذلك عطفهـا ولـم يتبعها))[5].

والذي يبدو من هذه الآية في ترك العطف في بعض الصفات وذكرها في البعض الآخـر ((لأن كل صفة لم تعطف على ما قبلها كان فيها تنبيه على أنها في اجتماعها كالوصف الواحد لموصوف واحد فلم يحتج إلى عطف، فلما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكـر وهمـا متلازمان مستمدان من مادة واحدة حسن العطف ليتبين أن كل وصف منهما قائم علـى حدتـه مطلوب تعيينه، لا يكتفى فيه بحصول الوصف الآخر بل لابد من أن يظهر أمـره بـالمعروف بصريحه ونهيه عن المنكر بصريحه))[6].

---

(1) الجنى الداني: ١٩٥.
(2) ابن القيم وحسه البلاغي في القرآن: ٦١.
(3) سورة التوبة: ١١٢.
(4) التبيان: ٢٣/٢.، وينظر: مسائل الرازي وأجوبتها: ١٢٣-١٢٤، القرطبي: ١٥٦/٨، مغني اللبيب: ٣٦٤/٢.
(5) نظم الدرر: ٣٩١/٣. وينظر: تفسير الرازي: ١٦٢/١٦-١٦٣.
(6) ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: ٦٣، بدائع الفوائد: ٥٣/٣-٥٤.

وقد اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾(١)، فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الواو التي في قوله (سبعة وثامنهم كلبهم) ((هي واو الثمانية، وقال الزجاج: دخول هذه الواو وخروجها سواء في صفة النكرة))(٢)، أي إنها زائدة، والتقدير: ويقولون سبعة ثامنهم كلبهم(٣).

وذهب بعضهم الآخر إلى أن دخول هذه الواو قد ((أفهم أن هذا ليس من نمط ما تقدم، فكأن قد قيل : ويقولون سبعة هم كذلك وثامنهم كلبهم، وأن هذا ليس داخلاً تحت ما تقدم من أنه رجم بالغيب، وأن الوصف بتلك الحال إنما يرفع إلى ما قبله من قولهم:ثلاثة رابعهم كلبهم وخمسة سادسهم كلبهم))(٤) ومنهم من قال أن هذه الواو جاءت ((للفصل ما بين أصحاب الكهف الأبرار الأطهار وبين كلبهم النجس))(٥).

وقد ذكر الزمخشري أن هذه الواو هي ((التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة ... وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كغيرهم))(٦). وقد ((قيل: هي واو الحال وعلى هذا فيقدر المبتدأ اسم إشارة أي هؤلاء سبعة ليكون في الكلام ما يعمل في الحال))(٧).

والرأي الراجح من هذه الآراء((أن يكون دخول الواو ههنا إيذاناً بتمام كلامهم عند قولهم ((سبعة))، ثم ابتدأ قوله: (وثامنهم كلبهم) وذلك يتضمن تقرير قولهم (سبعة)، كما إذ قال لك: زيد فقيه، فقلت: ونحوي))(٨) على أنه من الواضح إن هذا العطف الأخير كسر رتابة التأليف واستوقف السامع.

وقد ذهبوا إلى أن الواو التي جاءت في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾(٩)

---

(١) سورة الكهف: ٢٢.
(٢) مسائل الرازي وأجوبتها: ١٩٨. وينظر: معاني الحروف: ٦٤، درة التنزيل وغرة التأويل: ٢٢٤، القرطبي: ٢٧٨/١٠، مغني اللبيب: ٣٦٢/٢.
(٣) ينظر: معاني الحروف: ٦٣.
(٤) ملاك التأويل: ٦٤١/٢.
(٥) لطائف قرآنية: ٤٢.
(٦) الكشاف: ٤٧٩/٢. وينظر: مسائل الرازي وأجوبتها: ١٩٨-١٩٩، ملاك التأويل: ٦٤٣/٢، البيضاوي: ٤٨٨/٣-٤٨٩، التأويل النحوي في القرآن الكريم: ٧٩٥/١.
(٧) مغني اللبيب: ٣٦٣/٢.
(٨) ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: ٦٤. ينظر: ملاك التأويل: ٦٤١/٢.
(٩) سورة الزمر: ٧٣.

هي واو الثمانية لأن أبواب الجنة ثمانية، ولما ذكر جهنم في قوله: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(١) قال (فتحت) بلا واو، لأن أبوابها سبعة(٢). وهو قول ابن خالويه(٣).

وذكر الكوفيون والأخفش أن هذه الواو زائدة ودخولها في الكلام كخروجها وقيل هي عاطفة(٤).

وقد ذهب المبرد وأبو علي الفارسي وغيرهم إلى أن هذه الواو هي للحال. والمعنى: حتى إذا جاءوها وقد فتحت(٥). وأن ((هذا من حذف الجواب لنكتة بديعة، وهي أن تفتيح أبواب النار كان حال موافاة أهلها، ففتحت في وجوههم لأنه أبلغ في مفاجأة المكروه. وأما الجنة، فلما كانت ذات الكرامة، وهي مأدبة الله، وكان الكريم إذا دعا أضيافه إلى داره شرع لهم أبوابها، ثم استدعاهم إليها مفتحة الأبواب أتي بالواو العاطفة هنا الدالة على أنهم جاءوها بعدما فتحت أبوابها وحُذف الجواب تضخيماً لشأنه وتعظيماً لقدره))(٦). وهذا الرأي هو اقرب الآراء إلى الصحة.

ومن الآيات الأخرى التي عدوا فيها الواو من هذا الباب قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾(٧)، فقد ذكر الله تعالى سبع صفات للزوجة ولم يعطف بعضها على الآخر إلا في الصفة الثامنة (أبكاراً)، فقالوا إن هذه هي واو الثمانية التي تأتي في الكلام ودخولها كخروجها فهي زائدة(٨)، ((ذكرها القاضي الفاضل، وتبجح باستخراجها، وقد سبقه إلى ذكرها الثعلبي))(٩).

وقد رد الكثير من العلماء هذا الرأي، فعللوا دخول هذه الواو في قوله (ثيبات وأبكاراً) ((بأنهما صفتان متضادتان لا تجتمعان فيهن اجتماع سائر الصفات، فلم يكن بد من الواو، ومن

---

(١) سورة الزمر: ٧١.
(٢) ينظر: الجنى الداني: ١٩٥، مغني اللبيب: ٣٦٣/٢، ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: ٦٤.
(٣) ينظر: ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: ٦٥.
(٤) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ٦٣٣/٢، والجنى الداني: ١٩٤، ومغني اللبيب: ٣٦٢/٢-٣٦٣.
(٥) ينظر: الجنى الداني: ١٩٦، مغني اللبيب: ٤٦٣/٢، تفسير الرازي: ٢٠/٢٧.
(٦) ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: ٦٤-٦٥. وينظر: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع: ١٩٠-١٩١، أسرار جمالية قرآنية: ٦٣-٦٤.
(٧) سورة التحريم: ٥.
(٨) ينظر: الجنى الداني: ١٩٥، ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: ٦٣-٦٤.
(٩) مغني اللبيب: ٣٦٤/٢.

جعلها واو الثمانية فقد سها، لأن واو الثمانية لا يفسد الكلام بحذفها بخلاف هذه))[١]. وعلى هذا يكون المعنى ((المقصود أن يزوجه بالنوعين الثيبات والأبكار))[٢].

وهكذا نجد أن العلماء الأجلاء قد تعرضوا لهذه الآيات بشيء من التعليلات التي يقبلها العقل ويتذوقها الحس، ويدرك حلاوتها أصحاب البلاغة العالية. وقد فنّدوا كل الآراء التي تذكر بأن هذه الواو هي واو الثمانية التي كانت العرب تستعملها في كلامها وهي زائدة في الكلام، فدخولها كخروجها، ((فقد ورد في القرآن تسعة أوصاف متتابعة لم يدخل بينها حرف العطف، حتى ولا بعد الوصف السابع، وهو قوله تعالى: ﴿ **وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ ۞ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۞ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ** ﴾[٣]، وهذا مما يدل على ضعف القول بما يسمى(واو الثمانية)))[٤].

الفصل الثاني

---

(١) [illegible]ل الرازي وأجوبتها: [illegible]٢، تفس[illegible]: ٢/٣٦٤.

(٢) [illegible] القيم وحسه البلاغي في [illegible]

(٣) [illegible]ة القلم: ١٠-١٣.

(٤) [illegible] القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن: ٦٦.

التغريب اللغوي على مستوى اللفظة القرآنية

التغريب اللغوي على مستوى اللفظة القرآنية:ـ

للمفردة في القرآن الكريم نصيب كبير من العناية الفنية، فالكثير منها يتسم بطـابع الجـدة والطرافة وعدم الشيوع على ألسنة المتكلمين.

تكمن غرابة بعض الألفاظ القرآنية في ندرتها بالنسبة لغيرها من الألفاظ الواردة في كلام العرب أو لورود بعضها على غير لغة الحجازيين أو لأن بعضها منقول من أصول غير عربية كأن يكون من الفارسية أو الحبشية أو النبطية أي مما يعد من المعرّب.

لقد وظّف القرآن الكريم كل ما هو مسموع عن لغات العرب وغيرهم من الأقوام للتعبير عن الدلالة القرآنية المستوحاة من آيات القرآن الكريم، ذلك من خلال استعمال ألفاظ هذه اللغات للتعبير عن المعاني المعهودة عنها أو بعد أن يضفي عليها ((معانيَ جديدة لم تكن معروفة للعرب من قبل))[١].

ولعل من أهم المواضيع التي احتوت على المفردات الموحية التي تعطي انطباعاً يدل عليه السياق ولا يتضح معناها بدقة في المعاجم موضوع الغيبيات، ومنها ما يتعلق بالنار وعذابها كلفظة(غسلين) التي وردت في قوله تعالى: ﴿**فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۞ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ**﴾[٢] والخطاب فيها لأهل النار يوم القيامة.

وقد ذكر لها العلماء عدة معان، منها قولهم أن الغسلين هو ما يسيل من جلود أهل النار، أو ما انغسل من لحومهم، وقيل هو شديد الحر، وقيل هو طعام أهل النار[٣] وكل هذه المعاني مستوحاة من السياق الذي جاءت فيه هذه اللفظة.

وجاء في بعض التفاسير قولهم في الغسلين ((هو شر طعام أهل النار، وقال الضحاك هي شجرة في جهنم، وقال ابن عباس: ما أدري ما الغسلين؟ ولكنني أظنه الزقوم))[٤].

وفي حديث علي وفاطمة (عليهما السلام) ((شرابه الحميم والغسلين))[٥]، وذكر بعضهم أنه ((الحار الذي انتهى غليانه شدة بلغة شنوءة))[٦].

ويبدو أن هناك عدم اتفاق على معنى هذه اللفظة بحيث يقول ابن عباس لا أدري ما الغسلين، مما يعني أنها نادرة جدا أو هي من ارتجال القرآن وألفاظه الشرعية الإسلامية الجديدة.

---

(١) لغة القرآن الكريم: ٣٦٦.
(٢) سورة الحاقة:٣٥- ٣٦.
(٣) ينظر: لسان العرب- غسل.
(٤) مختصر تفسير ابن كثير:٥٤٥/٣. وينظر: العمدة: ٣١٣، مفردات ألفاظ القرآن: ٦٠٧.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٦٨/١.
(٦) لغات القبائل الواردة في القرآن: ٢٩١-٢٩٢، الإتقان: ٩٧/٢.

ومن ألفاظ النار التي خاطب الله تعالى بها أصحابها لفظة (غَسَّاق) الواردة في قوله تعالى: ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾[١]،وقوله: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلا شَرَاباً ۞ إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً﴾ [٢].

فذكروا لها أكثر من معنى، منها أنها تعني ما يغسق من جلود أهل النار وصديدهم، وقيل هو المنتن البارد الشديد البرد، وقيل هو البارد فقط [٣] وذكر الحسن أن الغسّاق عذاب لا يعلمه إلا الله[٤].

وجاء في الحديث (((لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا))، الغساق بالتخفيف والتشديد: ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم، وقيل: ما يسيل من دموعهم، وقيل: هو الزمهرير))[٥]وقيل هو الأسود[٦]،وقيل: هو((البارد المنتن بلسان الترك))[٧].

وهذا الاختلاف في آراء العلماء لبيان معنى هذه اللفظة يعني أنها لم تسمع من قبل، وأنها من اللغات القديمة جدا، وأن المعنى الذي ذكره العلماء جاء من الكلمة الأخرى وهي (الحميم) التي تعني الحار، فلابد إذا من أن لا تكون (غساق) تعني الحار، فذهبوا إلى أنها البارد جدا، فهي إذاً من الألفاظ الخاصة بالقرآن الكريم.

ومن الألفاظ التي ذكرها القرآن الكريم والخاصة بعذاب أهل النار لفظة (سِجّيل) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾[٨]،وقوله: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾[٩].

فمن المعاني التي أوردها العلماء لهذه اللفظة أنها تعني الصلب الشديد، وهي حجارة من طين، وقيل هو من سجيل كقولك من سِجل أي ما كتبه لهم[١٠].

---

(١) سورة ص: ٥٧.
(٢) سورة النبأ:٢٤-٢٥.
(٣) ينظر: لسان العرب-غسق، الكشاف: ٣٧٩/٣، مختصر تفسير ابن كثير: ٢٠٧/٣.
(٤) ينظر: الكشاف: ٣٧٩/٣، مختصر تفسير ابن كثير: ٢٠٧/٣.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٦٦/٣. وينظر: تفسير غريب القران: ٣٨١، مفردات ألفاظ القرآن: ٦٠٦.
(٦) ينظر: العمدة: ٢٦٠.
(٧) الإتقان: ١١٥/٢، تيجان البيان: ٣١٩.
(٨) سورة هود: ٨٢.
(٩) سورة الفيل: ٤.
(١٠) ينظر: لسان العرب- سجل، مختصر تفسير ابن كثير: ٢٢٨/٢، تفسير غريب القرآن: ٢٠٨، النوادر في اللغة: ٥٣٤.

وذكر السيوطي قولاً آخر وهو أن السجيل من سجله إذا أرسله(١). وجاء في معنى السجيل أنه ((من طين طبخت بنار جهنم مكتوب عليها أسماء القوم لقوله تعالى (مسومة عند ربك للمسرفين). أو كتب الله تعالى تعذيبهم بها.من سُجِّل كُتِب))(٢)

ولعل المعنى هو تخليد آثام الفجار بنقشها على الحجر، وهذه النقوش معروفة عند العرب في اليمن والحضر وتدمر والأنباط وغيرها، والطين الذي يكتب عليه ثم يوضع في النار معروف في حضارة العراق القديمة. وعلى هذا فاللفظة معروفة المعنى من السياق القرآني لكن علماء اللغة لم يعرفوا أصلها.

ومن الألفاظ الجديدة التي أستعملها القرآن الكريم في التعبير عن العذاب الذي يصيب أهل النار لفظة (سِجِّين) الواردة في قوله تعالى:﴿ **كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ** ﴾(٣).

وهذه الجدة للفظة (سجين) جعلت علماء اللغة والتفسير والبلاغة يختلفون في معناها فقالوا ان السجّين هو واد في جهنم، وهو الصلب الشديد في كل شيء، وقيل المعنى أن كتابهم في حبس لخساسة منزلتهم عند الله، وقيل هو في حجر تحت الأرض السابعة، وقيل: في سجين في حساب(٤).

وذكر الزمخشري رأياً جامعاً لهذه الآراء وهو أن سجين هو ((كتاب جامع هو ديوان الشر دوّن الله فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والإنس))(٥).

وجاء في حديث أبي سعيد ((ويؤتى بكتابه مختوما فيوضع في السجين))(٦). وقد ((ذكر أبو حاتم في كتابه الزينة انه غير عربي))(٧).

ويبدو ان اختلاف العلماء في معنى هذه اللفظة نابع من عدم سماعهم بها، وأن هذه المعاني مستنبطة من خلال السياق القرآني على أن بعضهم استدل بالمعنى الوضعي لمادة (سجن)، ولو أنهم سمعوا بها لعرفوا معناها الحقيقي ولما اختلفوا فيه.

ومن ألفاظ النار المرتجلة في القرآن الكريم لفظة (المُهل) التي وردت في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً**﴾(٨) وقوله: ﴿ **يَوْمَ تَكُونُ**

---

(١) ينظر: معترك الأقران: ٢٢/٣.
(٢) التقريب في علم الغريب: ١٠٥٩/١.وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٣٩٨.
(٣) سورة المطففين: ٧.
(٤) ينظر: لسان العرب –سجن. وينظر: مختصر تفسير ابن كثير: ٦١٤/٣.
(٥) الكشاف: ٢٣١/٤.
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٤٤/٢.
(٧) الإتقان: ١١٢/٢. وينظر: تيجان البيان: ٣١٧.
(٨) سورة الكهف: ٢٩.

السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [١] وقوله أيضاً: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ۞ طَعَامُ الْأَثِيمِ۞كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾[٢].

وقد استنبط لها العلماء معانيَ عدة منها أن المهل هو ما ذاب من صُفر أو حديد، وقيل هو ضرب القطران، وقيل هو دردي الزيت وقيل هو العكر المغلي، وقيل هو رقيق الزيت وقيل أيضاً هو ما أذيب من جواهر الأرض[٣]، وجاء عن الافوه الاودِي قوله :[٤]

وكأنما اسلاتُهم مهنوءةٌ بالمهل من ندب الكُلوم اذا جَرى[٥]

وفي الأثر عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه ((أوصى في مرضه فقال : ادفنوني في ثوبيّ هذين، فإنما هما للمهل والتراب...وعن ابن مسعود ﷺ : أنه سُئل عن المهل فأذاب فضة فجعلت تميع وتلون، فقال: هذا من أشبه ما انتم راءون بالمهل))[٦]، ومعنى هذه اللفظة في بيت الافوه وفي كلام أبي بكر الصديقﷺ بعيد عن المعنى القرآني.

وقال بعض العلماء هو دردي الزيت وعكره بلغة البربر وأهل المغرب[٧].

ويبدو أن اللغويين والمفسرين ما كانوا متفقين على معنى اللفظة لندرتها البالغة مما جعل بعضهم ينسبه إلى لغة البربر ولأنهم لم يجدوا شاهداً عربياً لها.

ومن الألفاظ الغريبة التي حسن موضعها في آيات القرآن الكريم لفظة (آن) التي جاءت في قوله تعالى: ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[٨].

والحميم الآن هو ما ((انتهى حرّه، والفعل :أنى يأني آنى، وقوله تعالى:﴿ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [٩]أي: سُخنة))[١٠].

وعندما سأل نافع بن الأزرق سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ عن معنى هذه اللفظة ومعرفة العرب بها، أجابه ابن عباس أن العرب تعرفها واستشهد عليها ببيت نابغة بني ذبيان[١١]:

وتخضب لحية غدرت وخانت بأحمر من بخيع الجوف آني[١٢]

---

(١) سورة المعارج: ٨.
(٢) سورة الدخان: ٤٣–٤٥.
(٣) ينظر: لسان العرب – مهل، الكشاف: ٤٨٢/٢.
(٤) ديوان الأفوه ضمن الطرائف الأدبية: ٦.
(٥) ينظر: لسان العرب – مهل.
(٦) الفائق في غريب الحديث: ٣٩٥/٢.
(٧) ينظر: لغات القبائل الواردة في القرآن: ٢٩٣، تفسير غريب القرآن: ٢٦٧، تيجان البيان، ٣٢٠، معترك الأقران: ٤٩٤/٢.
(٨) سورة الرحمن: ٤٤.
(٩) سورة الغاشية: ٥.
(١٠) معجم العين: ٤٠٠/٨.
(١١) ديوان النابغة الذبياني: ١٢٠.
(١٢) ينظر: الإتقان: ٦٧/٢، سؤالات نافع بن الأزرق: ٢٣.

ومن سؤاله هذا يبدو أنهم لم يكونوا على علم بمعنى هذه اللفظة وأنها قليلة الاستعمال عندهم.

وذكر علماء التفسير أن الحميم الآن هو ((ماء حار قد انتهى حره ونضجه))[1]، ويبدو أن هذا المعنى الذي ذكره العلماء والمفسرون وهو الماء المغلي جاءوا به واستنبطوه من خلال ورود اللفظة في هذا السياق فحسب، وإلا فهم من خلال أقوالهم هذه يتبين أنهم ليسوا على علم بمعناها.

وقد اختلف العلماء في لفظة (ضريع) التي وردت في قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ**﴾[2] ، واختلافهم هذا نابع من جدتها وعدم استعمالها لديهم، فالعرب لا يعرفون هذا النبات الذي يسمى (بالضريع).

إذ يقول صاحب اللسان((الضريع نبات أخضر منتن خفيف يرمي به البحر وله جوف، وقيل: هو يبيس العرفج والخُلّة، وقيل: ما دام رطباً فهو ضريع، فإذا يبس فهو الشبرق، وهو مرعى سوء لا تعقد عليه السائبة شحماً و لحماً. وقال الفراء: الضريع نبت يقال له الشبرق، وأهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس، وقال قيس بن عيزارة الهذلي يذكر إبلاً وسوء مرعاها[3]:

وحُبِسنَ في هزم الضريع وكُلُّها　　　حدباء بادية الضلوع حرودُ

هزم الضريع: ما تكسَّر منه، الحرود: التي لا تكاد تدرّ))[4]، وأضاف آخر قائلاً ((قال الليث: الضريع: نبات في الماء الآجن، له عروق لا تصل إلى الأرض. أو هو شيء في جهنم أمرُّ من الصبر، وأنتن من الجيفة، أمرُّ من النار، وهذا لا يعرفه العرب، وهو طعام أهل النار))[5].

وذكر الزمخشري مثل هذا القول وتابعه في ذلك ابن كثير مضيفاً آراءً أخرى لابن عباس، إذ يقول انه شجر في النار، وسعيد بن جبير بأنه الزقوم أو الحجارة إلى غيره من الآراء[6].

---

(1) الكشاف: ٤/٤٨. وينظر: مختصر تفسير ابن كثير: ٣/٤٢١.
(2) سورة الغاشية: ٦.
(3) ديوان الهذليين، القسم الثالث: ٧٣.
(4) لسان العرب – ضرع.
(5) تاج العروس – ضرع.
(6) ينظر: الكشاف: ٤/٢٤٦، مختصر تفسير ابن كثير: ٣/٦٣٢.

وقد ((ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ ((أنه قال لولديّ جعفر رضي الله عنـه: مـالي أراهما ضارعين؟ فقالوا: إن العين تُسرع إليهما)) الضارع: النحيف الضاري الجسم))(١).

وقد رأينا أن غرابة اللفظة تصل إلى درجة القول بأن العرب لا تعرفه، وأقل ما يقال فيهـا أنها لفظة مجازية خاصة قد استعملها القرآن الكريم، ويبدو أن (الضريع) هو نوع مـن النبـات الشوكي الذي يكون أكثر مكوناته من الماء فهو لا يسد جوع الجـائع بـدليل قولـه تعـالى: ﴿لايُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾(٢).

ومن الغيبيات أيضاً الألفاظ التي تخص الجنة ونعيمها ولباسها، ويبدو أن هذه الألفاظ هـي أقل غرابة من الألفاظ التي تخص النار وعذابها، ذلك لتقريبها إلى أذهان الناس ليتحسسوا جمال ذلك النعيم وذلك اللباس الذي أُعدّ لهم.

من هذه الألفاظ لفظة (استبرق) الواردة في قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِـئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِك نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾(٤)، واختلف العلماء في بناء هذه اللفظة، فمنهم من قال أنهـا مـن (استقره) ونقل من العجمة إلى العربية، وقيل هي من (استفره) وقيل انها من (اسـتروه) وهـي لفظة فارسية نقلت إلى العربية(٥).

أما في معنى هذه اللفظة فقد اتفقوا على أن معنى (استبرق) هو مـا غلـظ مـن الحريـر والابريسم والديباج(٦).

ومن خلال استعراضنا لآراء العلماء نجد أنهم يختلفون في أصل هذه اللفظة، هل هي مـن استقره أم استفره أم من استروه، وأرى أن هذه اللفظة هي لغة عربية قديمة وهي مـن البريـق الذي يلمع كما قال ابن الأثير وابن كثير، أو أنها لغة مشتركة بين العربية والفارسية وهي تعني الثياب التي فيها لمعان.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٨٤/٣.

(٢) سورة الغاشية: ٧.

(٣) سورة الكهف: ٣١.

(٤) سورة الرحمن: ٥٤.

(٥) ينظر: لسان العرب – استبرق، تاج العروس – برق، المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢٦٦/١، المفصل في الألفاظ الفارسية المعربّة: ٨٣.

(٦) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير: ٤١٨/٢، ٣٠٦/٣، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٧/١، المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢٦٦/١.

ومن الألفاظ الغريبة التي تخص الجنة ونعيم أهلها والأشياء التي يجلسون عليها وحسبوها بغير لغة العرب كما يقولون لفظة (الأرائك) التي جاءت في قوله تعالى: ﴿**مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ**﴾(١).

جاء في اللسان أن ((الأريكة: سرير في حَجلَه، والجمع أريكَ وأرائك، وفي التنزيل: على الأرائك متكئون(٢).قال المفسرون: الأرائك السرر في الحجال ،وقال الزجاج : الأرائك الفرش في الحجال، وقيل : هي الأسرّة وهي في الحقيقة الفرش، كانت في الحجال أو في غير الحجال، وقيل: الأريكة سرير مُنَجَّد مُزَيَّن في قبة أو بيت فإذا لم يكن في سرير فهو حَجَلة))(٣).

وذكر ابن كثير أن((الأرائك:جمع أريكة وهي السرير تحت الحجلة، عن قتادة ((على الأرائك)) قال : هي الحجال وقال غيره: السرر في الحجال))(٤).

وجاء في الحديث((((ألا هل عسى رجل يَبلُغه الحديث عني وهو متكئ على أريكة فيقول بيننا وبينكم كتاب الله)) الأريكة: السرير في الحجلة من دونه ستر ولا يسمى مفردا أريكة، وقيل هو كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة وقد تكرر في الحديث))(٥).

وهكذا نجد أن أكثر العلماء متفقون على أن الأريكة هي السرير في الحجال(٦)، وذكر بعض العلماء أن هذه اللفظة هي بالحبشية وتعني السرر(٧).

ويبدو أن هذه اللفظة هي لغة مستجلبة من العربية الجنوبية وليست حبشية بدليل أن ((الحسن البصري ﷺ قال : كنا لا ندري ما الأرائك حتى لقينا رجلا من أهل اليمن فأخبرنا أن الأريكة عندهم الحجلة فيها السرير))(٨).

ومن نوادر الألفاظ التي تخص فراش أهل الجنة لفظة (زَرَابِي) الواردة في قوله تعالى ﴿**وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ**﴾(٩).

واختلف العلماء والمفسرون في معنى هذه اللفظة، فمنهم من يقول أنها البسط، ومنهم من يقول أنها الطنافس، وقيل هي النمارق واحدتها زَرْبّية بفتح الزاي وسكون الراء(١).

---

(١) سورة الكهف: ٣١.
(٢) سورة يس: ٥٦.
(٣) لسان العرب – أرك.
(٤) مختصر تفسير ابن كثير: ٤١٨/٢.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٠/١.
(٦) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٦٧، مفردات ألفاظ القرآن: ٧٣، العمدة: ١٨٩.
(٧) ينظر: الإتقان: ١٠٩/٢، معترك الأقران: ٦/٢، تيجان البيان: ٣١٥.
(٨) تيجان البيان في مشكلات القرآن: ٣٠٣.
(٩) سورة الغاشية: ١٦.

وذكر الراغب الأصفهاني أن الزرابي ((جمع زَربٍ، وهو ضرب من الثياب محبّر منسوب إلى موضع. وعلى طريق التشبيه والاستعارة قال (وزاربي مبثوثة)))[2].

وقال بعضهم ان واحد الزرابي (زُربية) بالضم[3]. وقال آخر أن مفردها (زِربية) بالكسر[4].

وهذا يعنى أنهم لم يسمعوا بهذه اللفظة، لذلك تراهم اختلفوا في مفردها، جاء في ((حديث بني العنبر (فأخذوا زريبة أُمي فأمر بها فرُدّت) الزربية: الطنفس. وقيل البساط ذو الخمل، وتكسر وتفتح وتضم، وجمعها زرابي))[5]. وقيل انها تعني الطنافس بلغة هذيل [6].

ومن الألفاظ الغريبة التي ترجع الى الغيبيات أسماء يوم القيامة، فقد ذكر القرآن الكريم العديد من الأسماء ليوم القيامة، ومن هذه الأسماء الغريبة لفظة (الصاخَّة) في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ**﴾[7]، وهي من الألفاظ التي استعيرت للتعبير عن يوم القيامة.

وقد اتفق العلماء والمفسرون على أن (الصاخة) بمعنى الصوت القوي الشديد، وقد سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع وتبالغ في إسماع الناس[8].

وجاء ((في حديث ابن الزبير وبناء الكعبة(فخاف الناس أن تصيبهم صاخة من السماء). الصاخة: الصيحة التي تصخ الأسماع، أي تقرعها))[9].

ومن خلال استعراض آراء العلماء في هذه اللفظة يتضح أن العرب لم تستعمل هذه اللفظة بهذا المعنى بدليل عدم ذكرهم لأي شاهد يدل على وجودها عندهم، فهي لفظة قرآنية خاصة.

ومن المسائل التي يكثر فيها هذا النوع من الغرابة ما يتعلق بالأسماء القديمة التي يرجع تأريخها إلى الأمم السابقة التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، ومنها (الرقيم، المرقوم) اللتان

---

(1) ينظر: لسان العرب – زرب، تاج العروس – زرب، الكشاف: ٢٤٧/٤، مختصر تفسير ابن كثير: ٦٣٣/٣.
(2) مفردات ألفاظ القرآن: ٣٧٩.
(3) التقريب في علم الغريب: ١٠٠٦/١.
(4) تحفة الأريب: ١٢٢.
(5) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٠٠/٢.
(6) ينظر: لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ٣٢٤.
(7) سورة عبس: ٣٣.
(8) ينظر: لسان العرب– صخخ، تاج العروس– صخخ، الكشاف: ٢٢٠/٤، ومختصر تفسير ابن كثير: ٦٠٢/٣.
(9) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٤/٣.

وردتا في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾[١] وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾[٢].

ونجد أن العلماء والمفسرين قد اختلفوا في معنى هذه اللفظة، فقالوا أن الرقيم هو تعجيم الكتاب، وأنشد بعضهم:

سأرقم بالماء القراح إليكم   على نأيكم ان كان للماء راقم[٣]

وقالوا: هي الدواة، وقيل هو اللوح، وقيل هو اسم الجبل الذي كان فيه الكهف، وقيل اسم القرية التي كانوا فيها، وقال الفراء: الرقم لوح رصاصي كتب فيه أسماؤهم وأنسابهم وقصصهم[٤].

وذكر الزمخشري أن الرقيم هو اسم كلبهم وأنشد لامية بن أبي الصلت[٥]:

ليس بها إلا الرقيم مجاوراً   وصيدهم والقوم في الكهف همد[٦]

ويبدو أن اختلافهم في معنى هذه اللفظة نابع من قدمها وعدم سماعهم بها، فهي غير متداولة بين العرب منذ زمن بعيد.

أما لفظة مرقوم فقيل هو((مكتوب مفروغ منه، لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد))[٧].

وجاء في الحديث الشريف أنه ﷺ (((كان يسوي بين الصفوف حتى يدعها مثل القدح أو الرقيم)) والرقيم: الكتاب، فعيل بمعنى مفعول: أي حتى لا يرى فيها عوجا كما يقوّم الكتاب سطوره))[٨].

وقال الراغب الأصفهاني ان ((الرقم : الخط الغليظ، وقيل هو تعجيم الكتاب وقوله تعالى: كتاب مرقوم حُمل على الوجهين. وأصحاب الرقيم، قيل اسم مكان، وقيل نُسِبوا إلى حجر رُقم فيه أسماؤهم))[٩].

---

(١) سورة الكهف: ٩.
(٢) سورة المطففين: ٢٠.
(٣) ديوان أوس بن حجر: ١١٦.
(٤) ينظر: لسان العرب – رقم.
(٥) امية بن أبي الصلت: ١٨١.
(٦) ينظر: الكشاف: ٤٧٣/٢.
(٧) مختصر تفسير ابن كثير: ٦١٤/٣.
(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٥٤/٢.
(٩) مفردات ألفاظ القرآن: ٣٦٢، ينظر: الإتقان: ١١٢/٢.

ومن خلال استعراضنا لآراء العلماء والمفسرين بخصوص هاتين اللفظتين، نجد أنهم قـد خلطوا بينهما في المعنى، فلم يفرقوا بين (الرقيم والمرقوم) فيجعلون هذا مكان ذاك تـارة وقـد يفرقون بينهما تارة أخرى.

ويبدو أن (رقيم) هو صفة مشبهة فهو فعيل بمعنى مفعول، ويحتمل ان يراد به كتابة كانت على المسجد الذي بني على عتبة الكهف، كما قال تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً** ﴾(١)، واللفظة هي من الألفاظ القرآنية الخاصة.

ومن الألفاظ الغريبة والموغلة في القدم (الرّس) التي جاءت في قوله تعـالى: ﴿ **وَعَـاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً**﴾(٢).

فهذه اللفظة تدل على بعض الآثار التاريخية القديمة جداً، فقد اتفق أهـل اللغـة علـى أن (الرس) بمعنى البئر القديمة(٣).

وذكر أهل التفسير أن ابن عباس قال((هم أهل قرية من قرى ثمود، وقـال عكرمـة: أصحاب الرس بفلج وهم أصحاب يس، وقال قتادة: فلج من قرى اليمامة، وعن عكرمة: الرس بئر رسوا فيها نبيهم أي دفنوه فيها))(٤).

وقيل أيضاً أن الرس هو ((معدن، وكل ركية لم تطوَ فهـي رس))(٥)، وقيـل أيـضاً أن ((أصل الرس : الأثر القليل الموجود في الشيء، يقال: سمعت رساً من خبـر، ورَسُّ الحـديث في نفسي، ووجَدَ رسّاً من حُمّى، ورُس الميت: دُفن وجُعل أثراً بعد عين))(٦).

والراجح من هذه الأقوال والذي يتناسب مع السياق في الآية أن اصحاب الرس هم الـذين قتلوا نبيهم ورسّوه في البئر.

ومنها لفظة (مِنْسأتَه) التي جاءت في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَـى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ**﴾(٧) .

---

(١) سورة الكهف: ٢١.
(٢) سورة الفرقان: ٣٨.
(٣) ينظر: لسان العرب–رسى، تاج العروس– رسس
(٤) مختصر تفسير ابن كثير: ٦٣٢/٢. وينظر: لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ٢١١، الإتقان: ٩٧/٢.
(٥) تحفة الأريب لما في القرآن من غريب: ١١٨.
(٦) مفردات ألفاظ القرآن: ٣٥٢.
(٧) سورة سبا: ١٤.

جاء في لسان العرب((المِنسأة: العصا، يهمز ولا يهمز، يُنسأ بها، وأبـدلوا إبـدالاً كليـاً فقالوا: مِنساه، وأصلها الهمز، ولكنها بدل لازم، حكاه سيبويه.وقد قرئ بهما جميعاً.. قـال أبـو طالب مع سيدنا رسول الله ﷺ في الهمز:

أمِنْ أجلِ حَبْلٍ لا أبا لك ضربْتَه بمِنسَأةٍ قد جرَّ حَبْلُكَ أحبُلا[1]

((والمنسأة العصا لأنه ينسأ بها: أي يطرد ويؤخر.. ومنساءة على مفعالة كما يقـال فـي الميضأة ميضاءة، ومن سأته: أي طرف عصاه))[2].

ونرى أن الزمخشري يجعـل منـساءة علـى وزن مِفْعالـة لأن هنـاك قـراءة بغيـر الهمزة(مِنسَاتَه)[3]، أما اذا قرئت بالهمز فهي على وزن (مِفْعَلة)[4].

وجاء أن المنسأة تعني العصا بلغة حضرموت وأنمار وخثعم[5]، ويبدو أن هذه اللفظة هي لفظة قرآنية استجلبها القرآن الكريم من لغات الجنوب.

وهناك جملة من الألفاظ التي جاءت على صيغة الجموع الغريبة التي لم تكن مـسموعة عند العرب، وقد وظفها القرآن الكريم توظيفاً جميلاً منها لفظة (جِمالة) الواردة في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾[6].

فقد اختلفوا في معنى اللفظة، فمنهم من قال انها جمع جمل، ومنهم من قـال انهـا حبـال السفن، وقال بعضهم إنها تعني الجسور، واختلافهم هذا جاء بسبب ورودها بصيغة الجمـع لأن جمعها غريب، فلو قال جمال صفر لكان المعنى واضحاً جلياً، ولكنه تعالى جمعها على (جِمالة) وقرأها بعضهم (جِمالات) [7]، فهذا الجمع إذّاً هو الذي أحدث هذا الالتباس في المعنى.

وقيل إن جمالات صفر هي الإبل السود، وعن ابن عباس إنها تعني قطع النحاس[8].

---

(1) لسان العرب – نسأ.
(2) الكشاف: ٢٨٣/٣. وينظر: مختصر تفسير ابن كثير: ١٢٤/٣.
(3) المصدر نفسه.
(4) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٣٥٤.
(5) ينظر: لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ٢٢٧، الإتقان: ٩٩/٢.
(6) سورة المرسلات: ٣٣.
(7) ينظر: لسان العرب– جمل.
(8) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير: ٥٨٨/٣، تفسير غريب القرآن: ٥٠٧.

وقد ذكر السيوطي هذه المعاني ثم رجّح أن تكون (جمالة صفر) بمعنى الجمال الصفراء أو الجمال السوداء، وقد شبه بها الشرر ولون النار يضرب إلى الصفرة. وهذا أليق بوصف جهنم[١]. وهو المعنى الأقرب للصواب.

ومن ألفاظ الجموع الغريبة والنادرة وقليلة الاستعمال لفظة (غَرابيب) التي جاءت في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ**﴾[٢] .

ذكر صاحب التاج أنه ((يقال أسود غربيب، أي: حالك شديد السواد، وأما إذا قلت: غرابيب سود، فإن السود بدل من الغرابيب... قال الهروي: أي من الجبال غرابيب سود وهن ذوات الصخور السود))[٣].

وجاء في الحديث ((إن الله يبغض الشيخ الغربيب) وهو الشديد السواد، وجمعه غرابيب. أراد الذي لا يشيب، وقيل: اراد الذي يُسوِّد شيبه بالخضاب))[٤]، وقد أضاف السيوطي قائلاً: ((قدم الوصف الأبلغ لقصد التأكيد))[٥].

وقد استعمل القرآن الكريم لفظة جديدة لم تسمع من قبل في كلام العرب وأشعارهم وهي (أبَابِيل) الواردة في قوله تعالى: ﴿ **وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ** ﴾[٦].

والغرابة في هذه اللفظة هي أنه تعالى لم يبين ويفصل في شكل هذا الطير وصفته ولاحجمه ولونه، إنما وصفها بأنها طيراً أبابيل فقط والعرب لم تعرف مثل ذلك الطير ولم تسمع به أو تره.

وقد تكلم العلماء في أصل هذه اللفظة ومعناها، فقالوا إن أبابيل بمعنى جماعة في تفرقه، وقيل إن: طيراً أبابيل يتبع بعضها بعضاً، وقيل إن واحدها إبيل وإبّول، وقيل هي جمع لا واحد له وهي بمنزلة عباديد وشماطيط[٧].

---

(١) ينظر: معترك الأقران: ١٤٤/٢.
(٢) سورة فاطر: ٢٧.
(٣) تاج العروس – غرب.
(٤) الفائق في غريب الحديث: ٦٥/٣، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٥٢/٣.
(٥) معترك الأقران: ٦٣٣/٢.
(٦) سورة الفيل: ٣.
(٧) ينظر: لسان العرب – أبل، الكشاف: ٢٨٦/٤.

أما ابن كثير فقد أوضح وبيّن لون هذا الطير وشكله، فقال إن أبابيل ((قطعاً قطعاً صفراً دون الحمام وأرجلها حمر))[1]، واستدلاله هذا نابع من السياق الذي جاءت به هذه اللفظة، لأن هذه الطيور ليست موجودة في عالمنا وإنما أرسلها الله من السماء، وقيل إن هذه اللفظة توحي إلى معنى التكثير[2].

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عند سؤال ابن الأزرق عن هذه الكلمة أن أبابيل((ذاهبة وجائية تنقل الحجارة بمناقيرها وأرجلها فتبلبل عليهم فوق رؤوسهم، أما سمعت قول الشاعر[3]:

وبالفوارس من وَرْقاء قد علموا　　　　أمْلاس خيلٍ على حُردٍ أبابيل[4]

ومجمل القول في ذلك أن هذه اللفظة تدل على أن الطيور التي بعثها الله تعالى على جيش أبرهة الحبشي كثيرة وكبيرة، وهي ذات شكل مخيف وقبيح تحمل الأحجار بمناقيرها وأرجلها فترمي بها الكفار.

وهناك جملة من الألفاظ الغريبة الأخرى التي لا تنتمي إلى المجاميع السابقة وهي متفرقة في آيات القرآن الكريم، ومن هذه الألفاظ لفظة (فَاقِع) التي وردت في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ**﴾[5]، وهي من الألفاظ النادرة في كلام العرب، وقد وظّفها القرآن الكريم في هذه الصورة عند الحديث عن بقرة بني إسرائيل وبيان صفاتها وميزاتها.

وكان للعلماء والمفسرين آراء عدة في معنى هذه الكلمة، منها أنها تعني شديدة الصفرة، وهي مبالغة في شدة لونها[6]، ومنهم من قال انها تعني سوداء أو شديدة السواد[7]، وهو قول ضعيف لأن العلماء لم يقولوا بذلك الرأي.

---

(1) مختصر تفسير ابن كثير: ٦٧٨/٣.
(2) ينظر: التقريب في علم الغريب: ١٢٥/١.
(3) شرح شعر زهير: ٣٠٩.
(4) الإتقان: ٧٢/٢.
(5) سورة البقرة: ٦٩.
(6) ينظر: لسان العرب– فقع، تاج العروس– فقع، الكشاف: ٢٨٨/١، مختصر تفسير ابن كثير: ٧٦/١.
(7) ينظر: الكشاف: ٢٨٨/١.

والأرجح من بين هذه الآراء أن المراد هو الصفرة بعينها، لأن العرب لا تقول أسود فاقع[1].

ومن الألفاظ التي اختلف فيها العلماء بسبب ندرتها وغرابتها لفظة (صُرْهُنّ) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

قالوا إن (صُرْهُنّ) بمعنى الجمع والشد، وكل شيء جمعته فقد صررته[3]، وقيل أيضاً إنها تعني قطعهن وشققهن[4]، وجاء في الحديث: ((أنه قال لجبريل عليه السلام: تأتيني وأنت صارّ بين عينيك)) أي مقبض جامع بينهما كما يفعل الحزين[5]. وذكر بعض العلماء أنها تعني شققهن وقطعهن بالرومية[6].

ومن الملاحظ أن اختلافهم في معنى اللفظة نابع من عدم معرفتهم بها، أو أن سياق الآية هو الذي أوقعهم في هذا اللبس،ويبدو أن المعنى الأقرب والأصوب لسياق الآية هو قطعهن وشققهن، لأنه تعالى ذكر في أول الآية (فخذ أربعة من الطير) والأخذ هو الجمع والضم، وليس من المعقول أن يقول بعد ذلك مباشرة (فضمّهن إليك).

وجاء في القرآن الكريم ببعض الألفاظ الموغلة في الغرابة منها لفظة (إدّا) في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً ﴾[7].

فقيل إن الإدُّ بمعنى العجب والأمر الفظيع العظيم، والإد الداهية[8]، وفي حديث ((أمير المؤمنين علي رضي الله عنه- سنح لي رسول الله ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله، ما لقيت بعدك من الإد والأدد-وروي من اللدد! والإدة: الداهية))[9].

---

(1) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٥٣-٥٤، مفردات ألفاظ القرآن: ٦٤٢، العمدة: ٧٨.
(2) سورة البقرة: ٢٦٠.
(3) ينظر: لسان العرب – صرر، تفسير غريب القرآن: ٩٦. العمدة: ٩٣، تحفة الأريب: ١٦، والتقريب في علم الغريب: ١٣٥١/١-١٣٥٢.
(4) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير: ٢٣٦/١، التقريب في علم الغريب: ١٣٥١/١-١٣٥٢.
(5) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٢/٣.
(6) ينظر: الإتقان: ١١٤/٢، ومعترك الأقران: ٥٧٦/٢، تيجان البيان من مشكلات القرآن: ٣١٨.
(7) سورة مريم: ٨٩.
(8) ينظر: لسان العرب – أدد، الكشاف: ٥٢٥/٢.
(9) الفائق في غريب الحديث: ٣٠/١.

وجاء في المفردات ((إدا: أي أمراً منكراً يقع فيه جلية، من قولهم: أدّت الناقــة تئــد، أي: رجعت حنينها ترجيعاً شديداً))[1].

ومن نوادر الألفاظ التي ذكرت في القرآن الكريم وغريبها لفظة (غَوْل) في قوله تعــالى: ﴿**لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ**﴾[2]، وهذه الآية في معرض الحديث عن أهــل الجنــة، وان الخمر الذي يشربونه في الجنة لا يسكر.

والغول بمعنى الصداع، وقيل هو بمعنى السّكر[3]، وقيل انها تعني لا تغتال عقولهم فتذهب بها[4]، وقيل هو ((اسم عام في الأذى والضر))[5].

ويبدو أن الرأي الراجح من بين هذه الآراء هو أن الغول بمعنـــى ذهــاب العقــل لأن الله تعالى يريد أن يبين أن خمر الآخرة ليس كخمر الدنيا وصفة هذه الأخيرة أنـــه يـــذهب العقــل، ويؤلم البطن أو الرأس، والله أعلم.

ومن غريب الألفاظ التي اختلف العلماء في تعريفها ومعناها لفظة (تَزَيّلوا) التي جاءت في قوله تعالى: ﴿**لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً**﴾[6].

قيل إن ((زيّل: زلت الشيء من مكانه أزيله زيلاً: لغة في أزلته، وقال الجوهري، قــال ابن بري: صوابه زِلتُه زيْلاً أي أزلته وزِلتُه أي مِزته. ابن سيده وغيــره: زال الــشيء زَيــلاً وأزاله إزالة و إزالاً، والأخيرة عن اللحياني، وزيّله فتزيّل، كل ذلك: فرقّه فتفرق. وفي التنزيل العزيز: فزيلنا بينهم. وهو فَعّلت لأنك تقول في مصدره تزييلاً، قال: ولو كان فَيْعَلتَ لقلت زَيَّلة وقال مرة: أزلت الضأن من المعز والبيض من السود إزالاً وإزالة وكذلك زِلتها أزيلها زُيلاً أي ميّزت. قال الأزهري: أما زال يُزيل فان الفراء قال في قوله تعالى: فزيلنا بينهم، قال ليست من زُلت إنما هي من زِلت الشيء فأنا أزِيلُه اذا فرقت ذا من ذا وأبنت ذا من ذا، وقال فزيلنا لكثرة الفعل، ولو قلّ لقلت زِلْ ذا من ذا كقولك مِزْ ذا من ذا، قال: وقرأ بعضهم فزايلنا بيــنهم، وهــو

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن: ١٩.
(2) سورة الصافات: ٤٧.
(3) ينظر: لسان العرب – غول، الكشاف: ٣٤٠/٣، مختصر تفسير ابن كثير: ١٧٩/٣.
(4) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٣٧٠.
(5) معترك الأقران: ٦٣٣/٢.
(6) سورة الفتح: ٢٥.

مثل قولك لا تصعّر ولا تصاعر، وعاقد وعقّد . وقال تعالى: لو تزيلّوا لعذبنا الـذين كفـروا، يقول لو تميزوا، وأنشد أبو الهيثم للكميت[١]:

أرادوا أن تُزايل خالقات   أديمهمُ يَقِسْنَ ويفترينا

والزّيال: الفراق، والتزايل: التباين. وتزّيّل القوم تزيّلاً وتزييلاً: تفرقوا))[٢].

أما علماء التفسير فقد ذكروا نفس المعنى لهذه اللفظة اذ قال الزمخشري ((لو تزيلوا: لـو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله))[٣].

وهذا التضعيف في الفعل (تزيّل) يوحي إلى المبالغة في تمييز المؤمنين عن الكفار، وكأن الله تعالى يقول: لو تفرق المؤمنون وتميزوا عن الكفار تمايزاً كلياً بحيث لا يبقى مؤمن واحـد إلى جانب الكفار، فالتمييز هنا لابد أن يكون بشكل كامل حتى يعذب الله الكـافرين ولا يـصيب أحداً من المؤمنين، والله أعلم.

يقول السيوطي: ((أي تَمَيَّزُوا عن الكفار، والضمير للمؤمنين المستورين الإيمان، أي لـو انفصلوا عن الكفار لعذبنا الكفار))[٤].

والشائع في هذه اللفظة هي أزَلتُه المزيد، أما زِلْتُه فالظاهر أن القرآن الكريم أحيا الأصـل المنسي المجرد وهو (زِلته).

ومن الألفاظ القرآنية التي ندر استعمالها في لغة العرب لفظة (عِزِين) الواردة فـي قولـه تعالى: ﴿ **عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ**﴾[٥].

واتفق أهل العلم على أن عزين بمعنى حلقاً حلقاً وجماعة جماعة وفرقـاً، وقيـل العِـزه عصبة من الناس فوق الحلقة، وأصلها عِزوة فحذفت الواو وجمعت جمع السلامة علـى غيـر قياس[٦]، وقيل ان عزين تأتي بمعنى متفرقين[٧].

---

(١) شعر الكميت: ١٢٣/٢.
(٢) لسان العرب – زيل
(٣) الكشاف: ٥٤٨/٣. وينظر: مختصر تفسير ابن كثير: ٣٤٨/٣.
(٤) معترك الأقران: ١١٥/٢. وينظر: العمدة: ٢٧٦، وتحفة الأريب: ١٢٣.
(٥) سورة المعارج: ٣٧.
(٦) ينظر: لسان العرب– عزا، الكشاف: ١٦٠/٤، مختصر تفسير ابن كثير: ٥٥١/٣.
(٧) ينظر: الكشاف: ١٦٠/٤. مختصر تفسير ابن كثير: ٥٥١/٣.

ويبدو أن معنى (عِزِين) في هذه الآية هو جماعات جماعات وفرقاً فرقـاً متفـرقين هنـا وهناك.

وقد وقف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمام لفظة قرآنية لم يعرف معناها، هذه اللفظة هي (الأبّ) التي جاءت في قوله تعالى: ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبّاً ﴾(1).

وذكرت معاجم اللغة وكتب التفسير أن الأب بمعنى الكلأ وهو العشب والحـشيش الـذي تعتلفه الماشية(2)، وورد في((حديث قس بن ساعدة: فجعل يرتع أباً ، وأصيد ضباً)) (3).

وذكر السيوطي أن هذه اللفظة تعني الحشيش بلغة أهل المغرب، وهي معرّبة(4).

ويبدو أن هذا المعنى للفظة قد استنبط من خلال السياق القرآني، إذ أنه تعالى قال (متاعـاً لكم) و يقصد به الفاكهة، ثم قال (ولأنعامكم) ويقصد به الأب، ولذلك نجد أن اجتهاد المفسرين في بيان هذه اللفظة جاء من هنا.

ومن استعمالات القرآن الكريم الجديدة للألفاظ مع عدم ورودها عند العرب قبـل عـصر نزوله لفظة (الإربة) التي وردت في قوله تعالى: ﴿أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِـنِ الرِّجَـالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾(5). وهي بخصوص إظهار زينة النـساء، وجعـل منهم (غير أولي الإربة).

فقيل إن الإربة تعني الحاجة، وقيل هم الذين بهم بَلَه أي لا عقل لهم، وقيل هو المغفل الذي لا شهوة له، وقد أرِبَ الرجل، إذا احتاج إلى الشيء وطلبه، يأرب أرباً. قال ابن مقبل(6):

وان فينا صَبوحاً إن أربتَ به جمعاً بهياً وآلافاً ثمانينا

وقال عكرمة هو المخنث الذي لا يقوم ذَكَرُهُ(7).

ومن ((حديث عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ أملككم لإربه، أي لحاجته))(8).

---

(1) سورة عبس: ٣١.
(2) ينظر: تاج العروس – أبب، تفسير غريب القرآن: ٣٩٨، ومختصر تفسير ابن كثير: ٦٠١/٣.
(3) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٣/١.
(4) ينظر: معترك الأقران: ٦/٢.
(5) سورة النور: ٣١.
(6) ديوان ابن مقبل: ٣٣٢.
(7) ينظر: لسان العرب– أرب، الكشاف: ٦٢/٣، مختصر تفسير ابن كثير: ٦٠١/٢، تفسير غريب القـرآن: ٣٠٣، معتـرك الأقران: ٣٨/٢، العمدة: ٢١٩.
(8) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٦/١.

والإرب هو الذي جاء في حديث عائشة رضي الله عنها على أنه الشهوة، أما الإربة القرآنية فهي تعني الشهوة والحاجة والرغبة. والدليل على أن الإربة بمعنى الحاجة قوله تعالى في سورة أخرى وهو يخاطب سيدنا موسى عليه السلام بسؤاله عن عصاه إذ يقول: ﴿**قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى**﴾(١)، والمآرب هنا بمعنى الحاجات الأخرى.

ومن أغرب وأندر وأبدع ما استعمل في القرآن الكريم من الألفاظ في آياته لفظة (ضَيْزَى) الواردة في قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى**﴾(٢).

والخطاب في هذه الآية في معرض الإنكار على الكفار بأن جعلوا البنات لله تعالى ولهم البنين، فردّ الله عليهم بهذه الآية مبيّناً للمعنى بهذه اللفظة الغريبة والعجيبة، وهي أغرب ما عبّر عنه القرآن الكريم.

واتفق أهل اللغة والمفسرون على أن القسمة الضيزى بمعنى القسمة الجائرة، وهو الانتقاص والبخس والمنع، وضيزى، فُعلى، وإن رأيت أولها مكسوراً، وأشار بعض العلماء أنه ليس في كلام العرب فِعلى(٣).

ومن ألطف وأجمل ما قيل في هذه اللفظة هو ما ذكره الرافعي في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، إذ يقول أن هذه اللفظة لا يصلح مكانها أي لفظة أخرى لأن غرابتها أشد الأشياء ملائمة لغرابة هذه القسمة، وقد صورت غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية(٤).

ولم أجد أن أحداً قد استعمل هذه اللفظة في التعبير عن الظلم والجور في القسمة إلا القرآن الكريم، ولم يرد عن العرب قبل نزول القرآن أن أحداً منهم قد استعملها إلا ما ذكره السيوطي من بيت امرئ القيس:

ضازت بنو اسد بحكمهمُ إذ يعدلون الرأس بالذنب

وهو بيت منحول ليس من رواية الثقات(١). فهي إذاً من الألفاظ الجديدة الخاصة بالقرآن الكريم.

---

(١) سورة طه: ١٨.

(٢) سورة النجم: ٢٢.

(٣) ينظر: لسان العرب – ضيز، تاج العروس – ضيز، الكشاف: ٣١/٤، مختصر تفسير ابن كثير: ٤٠١/٣، ليس في كلام العرب: ٣٥٦، مفردات ألفاظ القرآن: ٥١٣.

(٤) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٢٣٠.

وقد وظّف القرآن الكريم بعض الألفاظ العربية، وجعل لها صبغة معنوية جديدة، من هـذه الألفاظ لفظة (فاقرة) التي جاءت في قوله تعـالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۞ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾(٢).

واتفق أكثر العلماء على أن الفاقرة تعني الداهية التي تكسر عظام الظهر وهي الكاسرة – للفقار، وتظن أن يفعل بها فاقرة أي تظن أن يفعل بها داهية من العذاب(٣).

وفي ((حديث عمر ((ثلاث من الفواقر))، أي الدواهي واحـدتها فاقِـرة، كأنهـا تحطـم الظهر، كما تقول قاصمة الظهر))(٤).

ويبدو أن هذه اللفظة هي من الألفاظ القرآنية الجديدة ولم يستعملها أحد قبل، وقد اشـتقت من فقرات الظهر.

وقد استعمل القرآن الكريم بعض الألفاظ التي خرج بها عن وضعها الحقيقي في اللغة إلى المجاز، وعرف هذا الباب في علم البلاغة، وعدّ المجاز من أسباب إعجـاز القـرآن الكـريم وبلاغته، ومن الألفاظ المجازية ما عدّ من الغريب الذي جاء في القرآن الكريم.

ومن الألفاظ المجازية في القرآن الكريم لفظة (أكْدَى) التـي وردت فـي قولـه تعـالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۞ وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾(٥).

واستعمل القرآن الكريم هذه اللفظة من باب المجاز فتقول ((إن فلاناً قد بلغ الناس كُديتـه وكداه إذا أمسك بعد الإعطاء))(٦).

وأصل الكدية هو الحجر الصلب، إذ يقال للحافر إذا بلغ في حفر البئر إلى حجر لا يمكنه من الحفر(١)، وهذا مثل أسهل أي نزل السهل، وأنجد وأتهم ، ويتضح أن هذه اللفظة تدل علـى

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٨٢/٢.
(٢) سورة القيامة: ٢٤-٢٥.
(٣) ينظر: لسان العرب – فقر، تاج العروس–فقر، الكشاف: ١٩٢/٤، معترك الأقران: ١١٧/٣.
(٤) الفائق في غريب الحديث: ١٣٢/٣، النهاية في غريب الحديث والأثر:: ٤٦٣/٣.
(٥) سورة النجم: ٣٣-٣٤.
(٦) ينظر: أساس البلاغة: ٣٨٩.

الضيق والضنك، لأن حرف الكاف عند النطق به يضيق مجرى الهواء وينقطع النفس، فهو يوحي إلى مدلول هذه اللفظة.

وقيل ان اكدى بمعنى أمسك عن العطية، وأكدى أي قطع، والكدا بمعنى المنع، وقد جاء عن الطرماح[٢]:

بَلَى ثم نملك مقادير سُدّيت لنا من كَدَا هندٍ على ملَّةِ الثمد[٣].

وقد جاء في حديث حفر الخندق ((فعرضت فيه كُدْية فأخذ رسول الله ﷺ ثم سمّى ثلاثاً وضرب))[٤]. والكدية هنا بمعنى الصخرة القوية الصلبة ويبدو أن هذه اللفظة استعيرت بعد ذلك للإنسان الذي يعطي القليل ثم يتوقف عن ذلك العطاء.

ومن الألفاظ المجازية الغريبة في القرآن الكريم لفظة (قَمْطَرِير) الواردة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً** ﴾[٥].

وأصل القمطرير في اللغة الشديد واقْمطَّر يومنا: إشتد، والمُقَمطَر: المنتشر، ويقال للناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بأنفها، اقمطرت[٦].

وذكر (أن ابن عباس قال: قمطريرا: طويلاً وقال مجاهد: قمطريرا: يقبض الوجه بالبسور، وقال سعيد بن جبير وقتادة: قمطريرا: تقلص الجبين وما بين العينين من الهول) [٧].

ويبدو ان هذه اللفظة من التطوير الدلالي ونقلت فيه الصفة من الناقة ونحوها لليوم العصيب، جاء عن الزمخشري أنه قال((ومن المجاز: اقْمَطَّر يومنا، ويوم قمطرير((يوماً عبوساً قمطريرا))))[٨].

---

(١) ينظر: لسان العرب – كدا.
(٢) ديوان الطرماح: ١٦٧.
(٣) ينظر: لسان العرب –كدا، مختصر تفسير ابن كثير: ٤٠٣/٣.
(٤) الفائق في غريب الحديث: ٢٤٨/٣.
(٥) سورة الإنسان: ١٠.
(٦) ينظر: لسان العرب – قمطر، الكشاف: ١٩٧/٢.
(٧) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير: ٥٨٢/٣.
(٨) أساس البلاغة: قمط.

أما لفظة (لُبَدا) الواردة في قوله تعالى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً﴾[1] فهي لفظة مجازية أيضاً، استعملها القرآن الكريم بمعنى المال الكثير[2]، إذ أن أصلها الشيء الباقي الذي لايفنى، إذ جاء في اللسان أن ((لُبَد: اسم آخر نسور لقمان بن عاد سمي بذلك لأنه لَبَدَ فبقي لايذهب ولا يموت كاللَّبَد من الرجال لرحله لا يفارقه))[3].

وذكر الراغب الأصفهاني أن ((لُبَدا- بالضم- أي كثيراً ملبدا، وقيل: ماله سَبَدٌ و لا لَبَدٌ))[4].

ومن الألفاظ التي وظّفها القرآن الكريم توظيفاً جديداً لفظة (وَلِيجَة) التي ذكرت في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾[5].

فقيل إن الوليجة بمعنى البطانة وخاصّة الرجل ودِخلته، وهي مأخوذة من ولج يَلِج ولوجاً إذا دخل أي ولم يتخذوا بينهم وبين الكافرين دخيلة ومودة[6].

وفي ((حديث علي ((أقرّ بالبيعة وأدّعى الوليجة)) وليجة الرجل: بطانته ودخلاؤه وخاصّته))[7].

وجاء عن بعض العلماء أن الوليجة ((كل ما يتخذه الإنسان معتمداً عليه، ليس من أهله، من قولهم: فلان وليجة في القوم: إذا لحق بهم وليس منهم، إنساناً كان أو غيره))[8].

ويبدو من خلال السياق أن اللفظة تعني الأنصار والمحامين، والمعنى المذكور مستنبط من معنى الفعل.

---

(1) سورة البلد: ٦.
(2) ينظر: تاج العروس – لبد، الكشاف: ٢٥٦/٤.
(3) لسان العرب – لبد.
(4) مفردات ألفاظ القرآن: ٧٣٤. وينظر: العمدة في غريب القرآن: ٣١٩، تحفة الأريب: ٢٣٨، معترك الأقران: ٢٨٢،٢٧٣/٢.
(5) سورة التوبة: ١٦.
(6) ينظر: لسان العرب – ولج، تاج العروس – ولج، الكشاف: ١٧٨/٢، مختصر تفسير ابن كثير: ١٢٩/٢.
(7) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٢٤/٥.
(8) مفردات ألفاظ القرآن: ٨٨٣، معترك الأقران: ٢٨٧/٣.

ومن الألفاظ الأخرى التي اختلف في معناها لفظة (العَرِم) التي وردت في قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾[١].

فمن المعاني التي ذكرت لهذه اللفظة أنها تعني المسناة لا واحد لها من لفظها، وأنشد ابن بري للجعدي[٢]:

من سبأ الحاضرين مأربَ إذ شَرَّدَ من دون سَيله العرما

وقيل انها سد يعترض به الوادي، وقيل هي الأحباس تبنى في أوساط الأودية، وقيل هو السيل الذي لا يطاق[٣].

وذكر الزمخشري مثل هذا القول، إلا أنه رجح أن يكون المراد بها المسناة التي عقدوها سكراً[٤]، وقال ابن كثير أن ((المراد بالعرم المياه، وقيل: الوادي، وقيل الماء الغزير))[٥].

وجاء في ((حديث عاقر الناقة ((فانبعث لها رجل عارمٌ، أي خبيث شرير، وقد عُرم بالضم والفتح والكسر والعُرام: الشدة والقوة والشراسة))[٦].

ومن خلال استعراض هذه الآراء نجد أن منهم من يقول أن المقصود بالعرم هي المسناة[٧]، ومنهم من يقول أنها الوادي[٨]. ومنهم من قال أنها المطر الشديد، وتعدد هذه الآراء يدل على أن هذه اللفظة قليلة الاستعمال عندهم، أو أنها لغة قديمة لم يستعملوها، وذكر أنها تعني المسناة بلغة أهل الحبشة[٩].

وإذا ما رجعنا إلى سياق الآية يتبين لنا أن المراد بسيل العرم هو الماء الشديد الغزير الذي يدمر كل شيء أمامه بسبب قوته. والأرجح أن هذه اللفظة يمانية تتعلق بالسدود.

---

(١) سورة سبأ: ١٦.
(٢) ديوان النابغة الجعدي: ١٣٤، وروايته من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما
(٣) ينظر: لسان العرب – عرم.
(٤) ينظر: الكشاف: ٢٨٥/٣.
(٥) مختصر تفسير ابن كثير: ١٢٦/٣.
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٢٣/٣.
(٧) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٣٥٥، مفردات ألفاظ القرآن: ٥٦٢.
(٨) ينظر: العمدة: ٢٤٦.
(٩) ينظر: الإتقان: ١١٥/٢، تيجان البيان: ٣١٨-٣١٩.

ومن الألفاظ الخاصة بالقرآن الكريم لفظة (الإلّ) الواردة في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[1] وقوله أيضاً : ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾[2].

وقد اختلف العلماء في معنى اللفظة، فقالوا انها تعني العهد والقرابة والحلف، قال حسان بن ثابت[3]:

لعمرك إنّ إلّك من قريش   كإلِّ السقب من رألِ النَّعام

وقيل هو من أسماء الله عز وجل ، وهو ضعيف[4].

وكان للزمخشري توجيه مجازي في هذه اللفظة، إذ يقول: ٠(والوجه أن اشتقاق الإل بمعنى الحلف لأنهم إذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه من الإل وهو الجؤار، وله أليل: أي أنين يرفع به صوته، ودعت ألليها: إذا ولولت، ثم قيل لكل عهد وميثاق إل، وسميت به القرابة لأن القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق))[5].

ومن خلال اختلاف العلماء في معنى هذه اللفظة، نستدل على أنها من ألفاظ القرآن الخاصة، وربما كانت لغة من اللغات السامية لا علاقة لها بالإله عندهم.

ومن هذه الألفاظ التي اختلفوا في معناها ونسبتها، لفظة (سامدون) التي جاءت في قوله تعالى: ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۞ وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ ۞ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾[6].

فقد ذكروا أن السمود بمعنى اللهو، وقيل هو الغناء، وقيل أيضاً هم المستكبرون والشامخون[7].

وجاء في حديث علي عليه السلام ((خرج والناس ينتظرونه للصلاة قياماً، فقال مالي أراكم سامدين) والسامد: المنتصب إذا كان رافعاً رأسه ناصباً صدره))[8].

---

(1) سورة التوبة: ٨.
(2) سورة التوبة: ١٠.
(3) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: ٢٠٠.
(4) ينظر: لسان العرب– ألك، وتفسير غريب القرآن: ١٨٣، مفردات ألفاظ القرآن: ٨١، معترك الأقران: ٣٥/٢.
(5) الكشاف: ١٧٦/٢.
(6) سورة النجم: ٥٩-٦١.
(7) ينظر: لسان العرب– سمد، الكشاف: ٣٥/٤، مختصر تفسير ابن كثير: ٤٠٦/٣.
(8) الفائق في غريب الحديث: ١٩٩/٢-٢٠٠. وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٩٨/٢، مفردات ألفاظ القرآن: ٤٢٤-٤٢٥.

وقيل أيضاً أن السمود هو الغناء وهي يمانية أو حميرية[1]. وقيل هو الساكن الخاشع قلبه[2].

ويبدو أن لفظة (سامدون) الواردة في الآية الكريمة قد تعني اللهو وعدم المبالاة بما يقال لهم.

ومن الألفاظ المجازية الغريبة في القرآن الكريم لفظة(صَيَاصِيْهِم) الواردة في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾[3].

وصياصي البقر قرونها، ويقال لقرون الثور والظبي صيصيه، وكذلك شوكة الديك لأنه يتحصن بها ثم استعيرت هذه اللفظة لكل ما يتحصن به فأصبحت تعني الحصون[4].

وجاء في الحديث الشريف ((((أنه ذكر فتنة تكون في أقطار الأرض، فقال: كأنها صياصي بقر)) جمع صيصيه، وهي القرن، سميت بذلك لأن البقرة تتحصن بها)[5].

وذكر بعض العلماء أن الصياصي بمعنى الحصون وهي بلغة قيس عيلان[6].

ويبدو أن هذه اللفظة هي من المجاز القرآني الخاص، إذ أنها لم تستعمل بهذا المعنى قبل القرآن الكريم، بدليل عدم ورود أي شاهد شعري بهذا المعنى، ومعنى الحصون مأخوذ من خلال ورود هذه اللفظة في السياق وليس وضعياً في الغالب، جاء في أساس البلاغة قوله ((استنزلوهم مصفدين من صياصيهم، ثم اطلقوهم بعد جزّ نواصيهم، أي من حصونهم))[7].

ومن الألفاظ التي قالوا فيها أنها من المعرب وأنها تعود إلى لغة من اللغات الأعجمية لفظة (حطّة) التي وردت في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴾[8].

فقيل انها تعني ((بالعبرانية لا اله إلا الله))[9]، إلا أن بعض العلماء قد تصدوا لمن يقول بأن هذه الألفاظ من المعرّب، إذ نسب الدكتور إبراهيم السامرائي هذه الألفاظ إلى اللغة السامية الأم التي تعد أساس كل هذه اللغات واللهجات[10]. ولا ضير أن تشترك هذه اللفظة في لغتين أو

---

(1) ينظر: الإتقان: ٨٩/٢، تفسير غريب القرآن: ٤٣٠.
(2) ينظر: معترك الأقران: ٢٠٨/٣، تحفة الأريب: ١٣٢.
(3) سورة الأحزاب: ٢٦.
(4) ينظر: لسان العرب– صيص، والكشاف: ٢٥٧/٢، مختصر تفسير ابن كثير: ٩١/٣.
(5) الفائق في غريب الحديث: ٣٢٣/٢. وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٦٧/٣.
(6) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ٢٢٣. وينظر: تفسير غريب القرآن: ٣٤٩، الإتقان: ٩٨/٢.
(7) أساس البلاغة– صأصأ
(8) سورة البقرة: ٥٨.
(9) معترك الأقران: ١٥٦/٢.
(10) ينظر: العربية تواجه العصر: ٨٨.

لهجتين فأكثر، وعلى هذا لا يعد ذلك من الأعجمي وورود هذه الألفاظ دليل على شمولية لغة القرآن الكريم ومخاطبته جميع الناس من عرب وعجم.

وقيل إن (حطّة) بمعنى (استحطّه وِزرَه: سأله أن يحطه عنه، وإن كان المراد بالوزر الحِمل فهو على حقيقته، وإن كان معنى من المعاني فهو مجاز) [١].

وجاء عن ابن كثير أنه قال ((قال ابن عباس: مغفرة استغفروا)) [٢].

((ومن المجاز: حط الله أوزارهم، وحط الله وزرك. (وقولوا حطة) واستحطوا أوزاركم))[٣].

ويبدو أن المعنى الراجح من هذه الآراء التي ذكرت أن (قولوا حطة) بمعنى استغفروا الله، وهي من عبارات أهل الكتاب وهو لفظ قرآني خاص.

الفصل الثالث

---

(١) تاج العروس: حطط. وينظر: الكشاف: ١/٢٨٣، مفردات ألفاظ القرآن: ٢٤٢، العمدة في غريب القرآن: ٧٦.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير: ١/٦٨.

(٣) أساس البلاغة: حطط.

التغريب اللغوي
على مستوى التركيب القرآني

أولاً: التذكير والتأنيث
ثانياً: الإفراد والتثنية والجمع
ثالثاً: الحمل على اللفظ والحمل على المعنى
رابعاً:خلخلة المعطوفات

لقد جاء القرآن الكريم بكلام ليس ككلام البشر، ذلك أنه كان معجزاً في نظمه، فقد أعجز بلغاء العرب الذين كانوا لا يبارون في الفصاحة والبلاغة،ولا يجارون في نظم الكلام وعذوبة معناه،إلا أنهم فوجئوا بهذا الكلام وهذا النظم وهذا التركيب، فوقفوا أمامه حائرين فلن يستطيعوا أن يأتوا بمثله، فالقران الكريم، كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ.

ولهذا نجد أن القرآن الكريم قد تفرد ببعض الأساليب التي لم يكن العرب قد عرفوها أو أن بعضهم قد استعملها ولكن بالشيء القليل، والسبب في هذه الاستعمالات هو كسر الرتابة الموجودة في الكلام، وذلك لكي لا يمل القارئ من قراءة القرآن.

وقد استطاع القرآن الكريم الخروج عن النمط الذي اعتاد عليه الناس، فأحياناً يخاطب المذكر بالمؤنث أو المؤنث بالمذكر، وأحياناً أخرى يخبر بالمفرد عن المثنى أو الجمع وقد يفعل العكس من ذلك، وقد يحذف بعض أقسام الجملة كما يفعل البلغاء، وقد تحذف جملة كاملة إذ لايخل ذلك في الكلام و الفصاحة والبلاغة.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى مخاطباً آدم عليه السلام وزوجه حواء قائلاً لهما: ﴿**فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى**﴾[1]، فنجد أن الكلام موجه إلى آدم وحواء بدليل قوله (فلا يخرجنكما) أي أنت يا آدم وزوجك حواء، لكنه يقول بعد ذلك (فتشقى) بالإفراد.

وقد ذكر العلماء والمفسرون عدة آراء وتفاسير لهذه الآية، فمنهم من قال أن المراد بالخطاب هو آدم عليه السلام وليست حواء[2]، ولذلك أفرد الفعل وقال البعض الآخر أن الشقاء في الدنيا يكون على الرجل فهو الذي يعول المرأة وأهله[3]، ومنهم من قال أن المعنى معروف من سياق الآية فزوجه تابع له في الخطاب[4]. وقال بعضهم ((انه إنما أسنده إليه دونها للمحافظة على الفاصلة)) [5].

وهكذا نجدهم قد وضعوا هذه الآية في باب مخاطبة المثنى بالمفرد وأجروها على ظاهرها، ورأيت أن أحد العلماء المحدثين يميل إلى أن في الآية محذوفاً وهو الفاعل، وأن المعنى: فتشقى ذريتكما أو الأمة من بعدكما [6]، وأجد أن هذا الرأي هو المناسب لتفسير هذه الآية. وليس هناك خطاب للمثنى بالمفرد وإنما المقصود بالشقاء هنا هو شقاء الأمة من بعده، وهذا الحذف غير معروف في العربية، فالعرب لا تحذف شيئاً إلا بوجود شيء آخر يدل على ذلك المحذوف، لهذا يعد هذا الحذف من التغريب الذي جاء في القرآن الكريم.

---

(1) سورة طه: ١١٧.
(2) ينظر: معاني القران النحو:١٩٣/٢، تفسير القرطبي: ١٣٥/١١، البرهان في علوم القرآن: ٢٥٨/٢.
(3) ينظر: مسائل الرازي وأجوبتها: ٢٢٣، القرطبي: ١٣٥/١١، البرهان: ٢٥٨/٢، نظم الدرر: ٥٢/٥.
(4) ينظر: معاني القرآن: ١٩٣/٢، نظم الدرر: ٥٢/٥.
(5) مسائل الرازي وأجوبتها: ٢٢٣.
(6) هذا هو رأي الأستاذ الدكتور مصطفى عبد اللطيف جياووك عند محادثته في ٢٠٠٥/١/١٣.

أولاً: التذكير والتأنيث

١ـ تذكير المؤنث

ورد في القرآن الكريم بعض الآيات التي تخاطب المؤنث بصيغة التذكير أو تخبر بالمذكر عن المؤنث، وهذا الأسلوب صورة من الغرابة التي يستعملها القرآن الكريم.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[1]، فالأعناق هنا جمع تكسير لغير العاقل وقد أخبر عنها بجمع المذكر السالم، ولكن القرآن الكريم أراد أن يدخل شيئاً من الجدّة والحركة، فهو يكره الجمل الطبيعية الممتدة على نفس النمط والرتابة، فمن الواضح أن هذا هو السبب الرئيس في مجيء الآية بهذا الشكل والترتيب.

وهذا لا يمنع من وجود بعض التفسيرات لهذه الآية، فقد قال بعضهم أن الأصل في الآية أن يقول (فظلت أعناقهم لها خاضعة)، وإنما جاء بخاضعين لعدة وجوه((أولها: أن مجاهداً جعل الأعناق: الرجال الكُبراء فكانت الأعناق هاهنا بمنزلة قولك: ظلت رؤوسهم رؤوس القوم وكبراؤهم لها خاضعين للآية. والوجه الآخر أن تجعل الأعناق الطوائف، كما تقول: رأيت الناس إلى فلان عنقاً واحدة فتجعل الأعناق الطوائف العصب، وأحبّ إليّ من هذين الوجهين في العربية أن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون فجعلت الفعل أولاً للأعناق ثم جعل (خاضعين) للرجال))[2].

وقال بعضهم الآخر أن الأصل في الكلام فظلوا لها خاضعين ثم أقحمت الأعناق للدلالة على موضع الخضوع[3].

ووجدت أن هناك رأياً هو الأقرب إلى الصحة يقول((انه ذكَّر ولم يقل خاضعة، وذلك لأنه لا يريد خضوع الأعناق فقط بل خضوع أصحابها أيضاً فقدم الأعناق للإسناد ولكنه أخبر عن المضاف إليه فجمع المعنيين بذلك)) [4].

وقد يؤدي التذكير والتأنيث إلى عدم المطابقة بين المبتدأ والخبر نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[5]. فهنا جاء المبتدأ وهو(رحمة) بصيغة المؤنث وجاء بعده الخبر مذكراً وهو (قريب) وهذا إخلال في المطابقة، إذ أن الأصل في الخبر أن يكون مطابقاً للمبتدأ في التذكير والتأنيث، إلا أن القرآن الكريم خرج عن هذه القاعدة وعمل على كسر هذه الرتابة وهذه النمطية.

وقد علل العلماء والمفسرون هذه الحالة بقولهم: أن قريب تدل على المكان وليست للنسب وبهذا يمكن تذكيرها وتأنيثها، أما إذا دلّت على النسب فلا يجوز فيها إلا التأنيث[6].

---

(1) سورة الشعراء: ٤.
(2) معاني القرآن: ٢/٢٧٦-٢٧٧. وينظر: الأشباه والنظائر: ٣/١١٣.
(3) ينظر: الكشاف: ٣/١٠٤-١٠٥، مسائل الرازي: ٢٤٨، البحر المحيط: ٨/١٤٠، البيضاوي: ٤/٢٣١.
(4) معاني النحو: ٣/١٣١. وينظر: بدائع الفوائد: ٣/٣٠.
(5) سورة الأعراف: ٥٦.
(6) ينظر: معاني القرآن: ١/٣٨٠-٣٨١، الأشباه والنظائر: ٣/٩٧.

وردّ الزجاج على هذا القول بأنه غلط لأن سبيل المذكر والمؤنث أن يجريا على أفعالهما(١).

وقال بعضهم((إنما ذكّر قريب على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم، أو لأنه صفة موصوف محذوف: أي شيء قريب، أو على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل فتلاء وأُسراء، أو على أنه بِزِنة المصدر الذي هو النقيض والضعيف، أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي))(٢).

والذي يبدو في هذه الآية أن تذكير (قريب) يدل على قرب الرحمة من المحسنين، وأن الله قريب منهم أيضاً، فهي لا تدل على قرب الرحمة من المحسنين فقط وإنما قربها وقرب الله أيضاً(٣)، ولو أنه أنث (قريب) لما دلّت على هذا المعنى، وهذا من التوسع في المعنى والذي لايؤديه الأصل(٤).

ومن الآيات التي جاء فيها الفعل بصيغة المذكر وقد أنّث الفاعل قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ**﴾(٥)، إذ أن التأنيث واجب في المؤنث الحقيقي، أما قوله تعالى (وقال نسوة) فهو جمع تكسير وهو مؤنث غير حقيقي فيجوز فيه التذكير والتأنيث، ومع ذلك فإن هذا الأسلوب غير مألوف كثيراً عند العرب، ومجيء هذا الفعل بصيغة المذكر له دلالة خاصة.

قال سيبويه: ((إنما حذفوا التاء لأنهم صار عندهم إظهار المؤنث يكفيهم عن ذكرهم التاء، كما كفاهم الجميع والاثنان حين أظهروهم عن الواو والألف))(٦).

ويقول بعضهم: ((وقال جماعة من النساء وكن خمساً.. والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللّمة ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث))(٧).

وذكر آخرون أن التذكير يدل على القلة، أما التأنيث فانه يدل على الكثرة كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا** ﴾(٨) والقاعدة تقول: المؤنث يؤتى به للدلالة على الكثرة بخلاف المذكر(٩).

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي: ١٦٥/٧، البرهان: ٤١٣-٤١٥.
(٢) الكشاف: ٨٣/٢. وينظر: القرطبي: ١٦٥/٧، البيضاوي: ٢٨/٣، الأشباه والنظائر: ٩٧/٣، نظم الدرر: ٤٤/٣.
(٣) ينظر: بدائع الفوائد: ٣١/٣.
(٤) ينظر: معاني النحو: ١٣١/٣.
(٥) سورة يوسف: ٣٠.
(٦) كتاب سيبويه: ٣٨/٢.
(٧) الكشاف: ٣١٦/٢. وينظر: البيضاوي: ٢٨٤/٣.
(٨) سورة الحجرات: ١٤.
(٩) ينظر: التعبير القرآني: ١٦٠ ، معاني النحو: ٤٨٩/٢.

وقد جاءت الصفة في القرآن الكريم بصيغة المذكر والموصوف بصيغة المؤنث، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾[1]، فأنّث البلد وذكّر الميت الذي هو صفة للبلد، وهذا خروج عن القاعدة، وهذا الخروج يشكل كسراً للنمط الذي يسير عليه لإحداث شيء من الجدّة إلى هذه الآيات حتى لا يمل القارئ من قراءة القرآن.

ويعلل بعضهم مفسراً هذا الخروج بقوله: ((لعله أنّث البلد وذكر الميت إشارة إلى أن بلوغها في الضعف والموت بلغ الغاية بضعف أرضه في نفسها وضعف أهله عن إحيائه وقحط الزمان واضمحلال ما كان من النبات))[2]، وهذا التفسير فيه شيء من الغموض.

ومن الغريب في التذكير والتأنيث الذي ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً﴾[3]، فنجد أن الآية قد ذكرت مفعولين هما (الخطيئة) و(الإثم) ثم جاء بعدهما الضمير بصيغة المفرد وهو (الهاء) الذي يعود عليهما، وهذا ليس هو اللافت للنظر، وإنما الشاهد أنه ذكّر(الخطيئة) وهي مؤنثة ثم ذكّر (الإثم) وهو بصيغة المذكر ثم قال(يرم به) فأعاد الضمير على الإثم دون الخطيئة كما هو واضح من ظاهر الآية((وذلك جائز أن يكنى عن الفعلين وأحدهما مؤنث بالتذكير والتوحيد، ولو كثر لجاز الكناية عنه بالتوحيد، لأن الأفاعيل يقع عليها فعل واحد، فلذلك جاز. فإن شئت ضممت الخطيئة والإثم فجعلته كالواحد، وإن شئت جعلت الهاء للإثم خاصة))[4].

ويبدو أن الخطيئة والإثم يدلان على المعنى نفسه ولذلك وحّد الضمير وذكّره، ولأن لفظة الإثم فيها من الشيوع ما لم يوجد في الخطيئة ولهذا أعاد الضمير عليه.

وقد وردت في القرآن الكريم لفظة (السماء) وهي من الألفاظ المؤنثة، ولكن القرآن الكريم أخبر عنها بصيغة التذكير في قوله تعالى:﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾[5].

وقد ((زعم الخليل رحمه الله أن (السماء منفطر به) كقولك: (معضل) للقطاة، وكقولك (مرضع) للتي بها رضاع)) [6] أي أن لفظة (منفطر) لا تؤنث.

([1]) سورة الزخرف: ١١.
([2]) نظم الدرر: ١٠/٧.
([3]) سورة النساء: ١١٢.
([4]) معاني القرآن: ٢٨٦/١-٢٨٧.
([5]) سورة المزمل: ١٨.
([6]) كتاب سيبويه: ٢٧/٢.

وقيل أن السماء يراد بها الجنس الشامل ولذلك ذكّر فقال(منفطر)، وقيل إن التذكير يكون أشد من المؤنث ولذلك ذكّر لبيان شدة الهول والانفطار[1]. وقال بعض العلماء إن السماء تـــذكّر وتؤنث[2].

ومن تذكير المؤنث أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّــرُ مِنْــهُ الأَنْهَــارُ﴾[3] فالحجارة هنا مؤنثة وجاء بعدها الضمير بصيغة المذكر وهو (الهاء)، ومن التوجيهــات التــي أوردها بعض العلماء قول أحدهم أن ((تذكير (منه) على وجهين، إن شئت ذهبت بــه – يعنــي (منه)– إلى أن البعض حجر، وذلك مذكر، وإن شئت جعلت البعض جمعاً في المعنى فذكَّرتــه بتذكير بعض)) [4]، وأحب الآراء لي هو أنه يريد بالحجارة معنى بعض الحجارة وليس جميعها ولذلك ذكّر الضمير (منه)، والله أعلم.

وهذا الأسلوب في القرآن الكريم يدل على التوسع في التذكير و التأنيث وهذه أمثلة فــي تذكير المؤنث قد أوردناها في بحثنا هذا مع وجود آيات أخرى تبين تذكير المؤنث في القــرآن الكريم.

٢- تأنيث المذكر

ورد في القرآن الكريم بعض الآيات التي تخاطب المذكر بصيغة المؤنث وهذا يعــد مــن التغريب الحاصل في القرآن الكريم والذي لا تسمح به قواعد العربية إلا بشكل محصور وقليــل جدا، فمن الآيات التي جاء فيها الفعل بصيغة المؤنث وجاء الفاعل بصيغة المذكر قوله تعــالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾[5] فجاء بلفظة (كذبت) بصيغة التأنيث وأتبعها بالفاعل المذكر وهــو قوله(قوم نوح) وهذا من عدم المطابقة في العربية، ولكن العلماء يجــدون بعــض التفــسيرات والتعليلات لهذه الظاهرة فقالوا ((إنما دخلت علامة التأنيث في كذبت لتأنيث الجماعــة)) [6] أي

---

(1) ينظر: نظم الدرر: ٢١٤/٨.
(2) ينظر: معاني القران: ١٩٩/٣، ومسائل الرازي: ٣٥٨.
(3) سورة البقرة: ٧٤.
(4) معاني القرآن: ٤٩/١.
(5) سورة ص: ١٢.
(6) مشكل إعراب القرآن: ٦٢٤/٢. وينظر: القرطبي: ١١٤/١٥.

جماعة نوح، وهذا من الحمل على المعنى، وقالوا أيضاً انه يجوز فيه التذكير والتأنيث[١]. والرأي الأرجح هو حمل هذه الآية على المعنى أي أنه سبحانه أراد بالقوم الجماعة ، والله أعلم.

وقد جاء عدم المطابقة في الضمائر في بعض الآيات نتيجة لتأنيث المذكر نحو قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾[٢] فالطاغوت هنا مذكر وجاء بعده الضمير (ها) بصيغة المؤنث، وذكر القرطبي عن الأخفش أن ((الطاغوت جمع ويجوز أن تكون واحدة مؤنثة))[٣]، ويقول أحد المفسرين إن تأنيث الطاغوت جاء للتنفير منها[٤]، والطاغوت هنا يقصد به كل ما عبد من دون الله من حجر أو صنم أو حيوان أو إنسان، فكل شيء يعبد من هذه الأشياء هو طاغوت، والرأي الأصوب أن المراد من هذه الآية هو اجتناب كل هذه المعبودات ولذلك ذكّر الضمير، والله أعلم.

ومن غريب التذكير والتأنيث قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ﴾[٥] فلفظة (تلك) هنا جاءت بصيغة التأنيث و(أنباء الغيب) بصيغة المذكر. يقول أحد العلماء أنه ((يصلح مكانها (ذلك) مثل قوله (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ) [٦] والعرب تفعل هذا في مصادر الفعل إذا لم يذكر مثل قولك: قد قدم فلان، فيقول الآخر: قد فرحت بها وبه. فمن أنّث ذهب بها إلى القَدْمة، ومن ذكّر ذهب إلى القدوم)) [٧]. ولكننا إذا رجعنا إلى الآيات التي سبقت هذه الآية نجد أنها تتحدث عن قصص بعض الأنبياء التي كان الله تعالى يقصها على نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبعد الفراغ من ذكر هذه القصة قال الله تعالى لنبيه (تلك من أنباء الغيب) أي تلك القصص التي قصصتها عليك فهذا هو المعنى، والله أعلم.

---

(١) ينظر: القرطبي: ١١٤/١٥.
(٢) سورة الزمر: ١٧.
(٣) القرطبي: ١٧٨/١٥.
(٤) ينظر: نظم الدرر: ٤٣٣/٦.
(٥) سورة هود: ٤٩.
(٦) سورة هود: ١٠٠.
(٧) معاني القرآن: ١٨/٢.

المبحث الثاني: الإفراد والتثنية والجمع

وردت بعض آيات القرآن الكريم التي تخاطب وتخبر عن المفرد بصيغة التثنية أو الجمع وتخبر عن المثنى بصيغة الإفراد والجمع ، والإخبار عن الجماعة بصيغة الإفراد أو التثنية، وهذه الحالات قد ندرت في قواعد النحو وأصوله، وكان استعمالها قليلاً جداً، أما القرآن الكريم فقد تفنن وأبدع في هذه الاستعمالات وكان لها بعض الدلالات التي تفرد بها دون غيره، وهذا ما جعل هذه التراكيب تدخل في باب التغريب اللغوي.

أولاً: الإخبار بالمفرد عن الجمع:

لقد أخبر الله تعالى في آياته عن الجمع بصيغة المفرد وخاطب الجمع بالمفرد أيضاً، من ذلك إخباره تعالى عن أصحاب السعير في سورة الملك بقوله: ﴿**فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لأَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[١] ولم يقل اعترفوا بذنوبهم.

ذكر الفرّاء ((أن في الذنب فعلاً، وكل واحد أضفته الى قوم بعد أن يكون فعلاً أدى عن جمع أفاعيلهم...)) [٢]، وقيل إن الذنب هنا جاء مصدراً، والمصدر يقع على القليل والكثير[٣]، وقد يكون المراد بالذنب الكفر ولذلك وحدّه[٤].

وقد يفلت القرآن الكريم في بعض آياته من قواعد اللغة الصارمة وذلك لكسر النمطية التي اعتاد عليها الناس والمجيء بشيء يفاجئ به القارئ أو السامع مع وجود بعض الدلالات والتعليلات الأخرى.

ومن عدم التطابق في الصفات الخاصة بالعدد ما ورد في قوله تعالى : ﴿**وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً** ﴾[٥] فالمفعول به الأول وهو الضمير (نا) يدل على الجمع وجاء بعده المفعول به الثاني(إماما) بصيغة المفرد وكان من المفترض أن يقول (أئمة).

قال الفرّاء: ((يجوز في الكلام أن تقول: أصحاب محمد أئمة الناس وأمام الناس)) [١]، وقال بعضهم إنه أفرد الإمام لدلالته على الجنس[٢]، أو لأنه مصدر[٣]، وقيل إنه أفرد الإمام لأنه أراد واجعلنا إماماً واحداً لاتحادنا واتفاق كلمتنا[٤].

---

(١) سورة الملك: ١١.
(٢) معاني القرآن: ١٧١/٣. وينظر: القرطبي: ١٨/١٦٠-١٦١.
(٣) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ٧٤٥/٢، البيضاوي: ٣٦٣/٥.
(٤) ينظر: نظم الدرر: ٧٣/٨.
(٥) سورة الفرقان: ٧٤.

والذي يتبين من خلال هذه الآراء أن الله تعالى أراد من خلال إفراد هذه اللفظة (إماماً) بيان وحدة كلمتهم واتفاقهم في الرأي وهذا ما لا تؤديه لفظة (أئمة) بالجمع، وربما أراد تعالى: اجعلنا للمؤمنين قدوة ومثلاً والله أعلم.

ومن عدم التطابق في الصفات أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾[٥]فجاء باسم كان وهو الضمير (الواو) في (تكونوا) بصيغة الجمع وجاء خبرها (أول كافر به) بصيغة الإفراد منافياً للقاعدة النحوية التي تقول أن المبتدأ والخبر يجب أن يتطابقا في الإفراد والتثنية والجمع. ولكن القرآن الكريم خرج من هذه القواعد وعمل على كسرها.

يقول الفرّاء:((وحّد الكافر وقبله جمع وذلك مِن كلام العرب فصيح جيد في الاسم إذا كان مشتقاً من فِعْل، مثل الفاعل والمفعول، يراد به ولا تكونوا أول من يكفر فتحذف (من) ويقوم الفعل مقامها فيؤدي الفعل عن مثل ما أدّت (من) عنه من التأنيث والجمع وهو في لفظ توحيد))[٦]. وقال بعضهم انه على تقدير أول من كفر به[٧]، أو أول فريق كافر به[٨].

وهناك رأي لأحد العلماء هو أقرب الآراء إلى الصحة عندي، وهو قوله أن ((اول كافر به) أبلغ من قوله (ولا تكفروا به) لأنهم اذا كانوا أول كافر به، كان فيه مبادرتهم إلى الكفر، عكس ما ينبغي منهم، وصار عليهم إثمهم وإثم من اقتدى بهم من بعدهم)) [٩].

ومن الغريب في الإفراد والجمع قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۞ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾[١٠] فوحّد الضمير (الهاء) وجمع (الظهور) وكان الحديث قبل هذه الآية عن الفلك والأنعام وهي جمع أيضاً، وقد علل أحدهم ذلك قائلاً : ((كيف قال(على ظهوره) فأضاف الظهور إلى الواحد؟ يقال له: ان ذلك الواحد في معنى جمع بمنزلة الجند والجيش والجميع، فإن قال: فهلا قلت:

---

(١) معاني القرآن: ٢/٢٧٤.
(٢) ينظر: الكشاف: ٣/١٠٢، البحر المحيط: ٨/١٣٣، البيضاوي: ٤/٢٢٩-٢٣٠.
(٣) ينظر: القرطبي: ١٣/٦٥، البرهان: ٢/٢٥٥-٢٥٧.
(٤) ينظر: الكشاف: ٣/١٠٢، البحر المحيط: ٨/١٣٤، البيضاوي: ٤/٢٢٩-٢٣٠، نظم الدرر: ٥/٣٤١-٣٤٢.
(٥) سورة البقرة: ٤١.
(٦) معاني القرآن: ١/٣٢-٣٣. وينظر: القرطبي: ١/٢٧٤.
(٧) ينظر: الكشاف: ١/٢٧٦، مسائل الرازي وأجوبتها: ١٣.
(٨) ينظر: القرطبي: ١/٣١١.
(٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان: ٤٣.
(١٠) سورة الزخرف: ١٢-١٣.

لتستووا على ظهره، فجعلت الظهر واحداً إذا أضفته إلى واحد؟ قلت: إن الواحد في معنى الجمع ، فرددت الظهور إلى المعنى ولو تقل: ظهره فيكون كالواحد الذي معناه ولفظه واحد...)) [1] وهناك رأي آخر يوضح بدقة المقصود من الآية إذ يقول: ((أي ظهور كل من ذلك المجعول، فالضمير عائد على ما جمع الظهر نظراً للمعنى تكثيراً للنعمة، وإفراد الضمير رداً على اللفظ دلالة على كمال القدرة بعظيم التصريف براً وبحراً...)) [2]. فالمقصود بإفراد الضمير إذن هو جنس المركوب من الفلك والأنعام جميعاً. والله أعلم.

ثانياً: الإخبار بالجمع عن المفرد

لقد أخبر القرآن الكريم في بعض آياته عن المفرد بصيغة الجمع وخاطبه بالصيغة نفسها، من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ**﴾[3] فنرى هنا أنه أشار بالجمع (أولئك) وهو اسم إشارة للمفرد(والذي جاء بالصدق وصدق به)، وقد قيل أن (الذي) في تأويل جمع بدليل قراءة عبد الله (الذين جاءوا بالصدق وصدقوا به) [4]. وقيل أن المقصود هو الفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به[5]، ويبدو أن (الذي) يعني جنس الذين جاءوا بالصدق وصدقوا به ولهذا قيل أن ((اللام للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله (أولئك هم المتقون)))[6].

ومن التغريب في الإفراد والجمع الوارد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ**﴾[7] فوحّد (الشجر) وجمع بعدها(الأقلام) وكان من اللزوم أن يقول (من شجر) بالجمع، ولكن القرآن الكريم لا يأتي بهذه الأساليب جزافاً، وإنما يريد من ذلك بيان دقة المعنى، فـ(من) هنا هي التي استغرقت الجنس فجعلت الشجرة جنساً وهذا هو المراد من الآية كما أظن.

---

(1) معاني القرآن: ٢٨/٣.
(2) نظم الدرر: ١١/٧.
(3) سورة الزمر: ٣٣.
(4) ينظر: معاني القرآن: ٤١٩/٢، الكشاف: ٣٩٨/٣.
(5) ينظر: الكشاف: ٣٩٨/٣، البحر المحيط: ٢٠٣/٩.
(6) البيضاوي: ٦٧/٥.
(7) سورة لقمان: ٢٧.

وقيل ((إنه أراد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر شجرة واحدة إلا وقد بريت أقلاماً))[1].

ومن الآيات التي أخبر الله بها عن المفرد بصيغة الجمع قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى** ﴾[2] والأمر هنا جاء في صلة الموصول(من) فكان فيها ضمير المفرد وهو اسمها وخبرها جمع، والمتوقع من السامع أن تكون الآية (من كانوا هوداً أو نصارى) أو (من كان يهودياً أو نصرانياً) فتحمل جملة الصلة أما على اللفظ أو المعنى.

وقد وجد بعض العلماء لهذه الظاهرة بعض التأويلات والتعليلات، منها أنه ((حمل الاسم على لفظ (من) والخبر على معناه كقراءة الحسن – إلا من هو صالو الجحيم[3]– وقوله – فإن لهم نار جهنم خالدين[4]– وقرأ أبي بن كعب إلا من كان يهودياً أو نصرانياً)) [5] وأجاز الفرّاء أن يكون هوداً بمعنى يهودياً وهو جمع هائد[6].

وقد ورد في القرآن الكريم بعض الآيات التي تتحدث بصيغة الجمع ثم الانتقال إلى المفرد والعودة إلى الجمع كقوله تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ** ﴾[7] فهو يتحدث أولاً عن المنافقين ويخبر عنهم بصيغة الجمع ثم ينتقل سبحانه إلى المفرد عند ضرب المثل (الذي) ثم يعود إلى الجمع (ذهب الله بنورهم).

ذكر الفراء أن ذلك جائز في التشبيه، فيجوز لك أن توحد مع الجمع وتجمع مع الواحد إذا كان المراد هو التشبيه[8]، هذا بالنسبة إلى قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) أما قوله (فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم) فيقول الفراء أيضاً ((ان المعنى ذهب إلى المنافقين فجمع لذلك. ولو وُحِّد لكان صواباً كقوله (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون) [9] و(يغلي) فمن أنث ذهب إلى الشجرة ومن ذكّر ذهب إلى المهل)) [10].

---

(1) مسائل الرازي وأجوبتها: ٢٧٣.
(2) سورة البقرة: ١١١.
(3) سورة الصافات: ١٦٣.
(4) سورة الجن: ٣٣.
(5) الكشاف: ٣٠٤/١. وينظر: القرطبي: ٥٨/٢.
(6) ينظر: معاني القرآن: ٧٣/١، القرطبي: ٥٨/٢.
(7) سورة البقرة: ١٧.
(8) ينظر: معاني القرآن: ١٥/١-١٦.
(9) سورة الفرقان: ٤٣-٤٤.
(10) معاني القران: ١٥/١-١٦.

أما الزمخشري فله رأي آخر إذ يقول: ((إن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد، إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد)) [١]، وأرى أن رأي الزمخشري هو الأقرب إلى الصحة.

وقد جاءت بعض الآيات القرآنية غير موحدة في العطف، فنجد أن أول الآية يكون الخطاب فيها موجهاً للمفرد ثم ينتقل بعد ذلك إلى خطاب الجماعة، وهذا الانتقال يحصل من خلال حروف العطف فتكون الجملة الأولى المفردة معطوفة على التي تليها وهي بصيغة الجمع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[٢] فتجد أن الخطاب موجه في أول الآية للرسول ﷺ وهو بصيغة المفرد ثم ينتقل إلى المفرد أيضاً ثم يتحول إلى الجمع (ولا تعملون من عمل) وهذا الانتقال يحدث خلخلة في المعطوفات، وقيل إن هذا الخطاب هو للرسول صلى الله عليه وسلم و لأمته، وقد يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم ويراد به الأمة أو العكس من ذلك[٣]. وقيل ((إنما جمع تفخيماً له صلى الله عليه وسلم وتعظيماً)) [٤]. ويبدو أن الخطاب هنا لا يخص الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما يشمل الأمة معه، والله أعلم.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ۞ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾[٥] فنجد أنه تعالى انتقل في الكلام من صيغة المفرد وهو (مسرف مرتاب) إلى صيغة الجمع وهو قوله (الذين يجادلون) وهو بدل من قوله تعالى (من هو مسرف). وقد قيل ((بأنه لا يريد مسرفاً واحداً فكأنه قال: كل مسرف))[٦].

ثالثاً : مخاطبة المثنى بالجمع

لقد خاطب الله تعالى في بعض آياته الاثنين بصيغة الجمع وأخبر عنهما أيضاً بنفس الصيغة وهذا يعد من الغرابة الحاصلة في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[٧] فالكلام هنا موجه إلى اثنتين من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى(إن تتوبا) فهما اثنتان ولكنه بعد ذلك جاء بصيغة الجمع وهو قوله تعالى (صغت قلوبكما) ولم يقل قلباكما وفي ذلك عدة آراء، منها: أن ((في جمع القلوب جمع كثرة

---

(١) الكشاف: ١-١٩٦-١٩٧.
(٢) سورة يونس: ٦١.
(٣) ينظر: القرطبي: ٢١٣/٨.
(٤) البرهان: ٢٥٩/٢.
(٥) سورة غافر: ٣٤-٣٥.
(٦) الكشاف: ٤٢٧/٣.
(٧) سورة التحريم: ٤.

تأكيد لما فهمته من ميل القلب بكثرة المعارف بما أفادهما وإظهار هذا السر والعتاب عليه من الحياء، فصارتا جديرتين بالمبادرة إلى التوبة متأهلتين لذلك غاية التأهل))[١]، وهناك لطيفة من اللطائف القرآنية التي تمثل القلب في حالة (الصغو) وهو ميلان القلب وانحداره إلى أسفل أي إلى المعصية بأنه ليس قلباً واحداً، بل عدة قلوب، فهو في تدرج نحو الأسفل وتقليل للحالة الإيمانية ولذلك جمع القلوب لبيان أن لكل واحدة منهما عدة قلوب في حالة(الصغو)[٢]. ويبدو أن العرب عندما تخاطب الاثنين تأتي بصيغة الجمع و لا تأتي بالتثنية، وهذا الأسلوب قد ساد عند العرب كثيراً.

ومن الآيات التي خاطب الله تعالى بها الاثنين بصيغة الجمع قوله تعالى: ﴿**فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ**﴾[٣] فالخطاب هنا موجه إلى سيدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام وهما اثنان ولهذا قال (فاذهبا) بصيغة المثنى، ولكنه بعد ذلك جمع فقال(إنا معكم) فجاء عدم التطابق بين الضمائر، وقد عللوا ذلك على أنه تعالى ((أجراهما مجرى الجمع لأن الاثنين جماعة، ويجوز أن يكون لهما ولمن أرسلا إليه. ويجوز أن يكون لجميع بني إسرائيل)) [٤].

وقد نسب أبو حيان قولاً لسيبويه يقول فيه ((كأنهما لشرفهما عند الله عاملهما في الخطاب معاملة الجمع وإذ كان ذلك جائزاً أن يعامل به الواحد لشرفه وعظمته))[٥].

ويبدو أن هذا الرأي هو الرأي الراجح لأن الله تعالى قال في هذه الآية (إنا) وهي صيغة جمع والله تعالى واحد لا شريك له وإنما جاء بهذه الصيغة للتعظيم، فكذلك جمع (معكم) للتفخيم والتعظيم أيضاً والله أعلم.

وقد ذكر الله تعالى السارق والسارقة في القرآن الكريم وبين حكمهما فقال: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ**﴾[٦] فأمر تعالى بقطع أيدي السارق والسارقة ولكنه هنا جمع اليدين فقال (أيديهما) وليس للإنسان إلا يدان اثنتان،وكان من المفترض أن يقول (فاقطعوا يديهما) لأنهما اثنان ولكنه جاء بصيغة الجمع ((لأن كل شيء موحد من خلق الإنسان إذا ذكر مضافاً إلى اثنين فصاعداً جمع فقيل : قد هشمت رؤوسهما... وإنما اختير

---

(١) نظم الدرر: ٤٧/٨.
(٢) ينظر: لطائف قرآنية: ١٣٠-١٣١.
(٣) سورة الشعراء: ١٥.
(٤) القرطبي: ٧٣/١٣. وينظر: البحر المحيط: ١٤٤/٨-١٤٥، البيضاوي: ٢٣٣/٤.
(٥) ينظر: البحر المحيط: ١٤٥/٨، نظم الدرر: ٣٥٢/٥. ولم يرد لسيبويه كلام يطابق ما جاء في البحر، يراجع كتاب سيبويه:٦٢٢/٣.
(٦) سورة المائدة: ٣٨.

الجمع على التثنية لأن أكثر ما تكون عليه الجوارح اثنين في الإنسان... فلما جرى أكثره على هذا ذهب بالواحد منه إذا أضيف إلى اثنين مذهب التثنية، وقد يجوز تثنيتهما)) [1]. وقال الزمخشري ((اكتفى تثنية المضاف إليه عن تثنية المضاف)) [2].

وقد خاطب تعالى السموات والأرض قائلاً: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾[3] فالخطاب هنا للسماء والأرض بصيغة المثنى، وقد أجراهما مجرى العقلاء إذ استعمل معهما جمع المذكر السالم (طائعين) فهما اثنان وطائعين بصيغة الجمع، ويبدو أن المعنى هو إتيان السموات ومن فيهن و الأرض ومن فيها أيضاً وذلك جمع ولم يثن[4].

رابعاً : الانتقال من الجمع إلى المثنى

ومن استعمالات القرآن الكريم أنه يجعل الاثنين كالجمع في بداية الحديث ثم يعود لتثنيتهما ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۞ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ**﴾[5]، فالحديث في الآيتين عن موسى وهارون عليهما السلام ولكنه في الأولى جمع فقال(ونصرناهم) وبعد ذلك رجع إلى صيغة التثنية فقال (وآتيناهما)، وقد يفسر هذا الانتقال بأن النصر قد يشترك فيه الجنس جميعاً أي موسى وهارون وقومهما، ولهذا جمع فقال(ونصرناهم)، أما الكتاب والرسالة فهما لموسى وهارون أولاً. وقيل أنه ((جعلهما كالجمع ثم ذكرهما بعد ذلك اثنين وهذا من سعة العربية أن يذهب بالرئيس: النبي والأمير وشبهه إلى الجمع، لجنوده وإتباعه، والى التوحيد لأنه واحد في الأصل)) [6].

خامساً : خطاب المثنى بالإفراد:

ومن الآيات التي خاطب الله تعالى بها الاثنين بصيغة المفرد في القرآن الكريم قوله: ﴿**فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[7] فالخطاب هنا موجه إلى موسى وهارون عليهما السلام

---

(1) معاني القرآن: ١/٣٠٦-٣٠٧. وينظر: القرطبي: ٦/٩٩-١٠٠.
(2) الكشاف: ١/٦١٢.
(3) سورة فصلت: ١١.
(4) ينظر: معاني القرآن: ٣/١٣.
(5) سورة الصافات: ١١٦-١١٧.
(6) معاني القرآن: ٢/-٣٩٠٣٩١.
(7) سورة الشعراء: ١٦.

وقد خاطبهما بصيغة المثنى(فأتيا) ثم ذكر بعد ذلك قوله (إنّا رسول) بالإفراد، فلا توجد هنا مطابقة في الكلام، وقد ذكر العلماء والمفسرون عدّة آراء في هذه الآية منها قولهم: ((يجوز أن يوحد لأن حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللأخوة كان حكماً واحداً فكأنهما رسول واحد، أو أريد أن كل واحد منا))(١). وقيل إن إفراد (الرسول) هنا ((على لغة من يقول (رسول) للواحد والاثنين والجمع، والمذكر والمؤنث...))(٢). ومن الواضح أن المتكلم هو واحد (موسى) عليه السلام وهارون كان تبعاً له معاضداً إليه في الكلام والله أعلم.

ومن استعمالات القرآن الكريم في هذا الباب أيضاً قوله تعالى: ﴿**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ**﴾(٣) فالحديث هنا عن الملكين الموكلين بإحصاء عمل الإنسان وهما رقيب وعتيد بدليل قوله تعالى: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾(٤)، وهما اثنان عن اليمين وعن الشمال ولكنه بعد ذلك ذكرهما بصيغة الإفراد (قعيد) ولم يقل قعيدان. وقيل أن ((معناه عن اليمين وعن الشمال قعيد إلا أنه حذف أحدهما لدلالة المذكور عليه كما قال الشاعر(٥):

نحن بما عندنا وأنت بماعن دك راض والرأي مختلف

أو أن فَعِيلاً يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع... وقيل إنما لم يقل قعيدان رعاية لفواصل السورة))(٦).

ومن الواضح أن المعنى المقصود من الآية عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد وإنه لم يقل قعيدان لأن المعنى بيّن. والله أعلم.

وفي سورة براءة وحّد الله تعالى الضمير، وكان الكلام أول الآية بصيغة المثنى، وهما الله تعالى ورسوله محمد ﷺ إذ يقول تعالى: ﴿**وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ**﴾(٧) فالضمير (الهاء) جيء به بصيغة التوحيد ولم يقل الله تعالى(يرضوهما) بالتثنية، وقيل((لأن المعنى – والله أعلم– بمنزلة قولك ما شاء الله وشئت، إنما يقصد بالمشيئة قصد الثاني، وقوله (ما شاء) تعظيم لله مقدم قبل الأفاعيل .. وإن شئت أردت: يرضوهما فاكتفيت بواحد ، كقوله(٨):

نحن بما عندنا وأنت بما عنـ ـدك راض والرأي مختلف

---

(١) الكشاف: ١٠٨/٣. وينظر: البحر المحيط: ١٤٥/٨، نظم الدرر: ٣٥٢/٥، أسرار جمالية قرآنية: ٣٥.
(٢) ملاك التأويل: ٦٨٢/٢.
(٣) سورة ق: ١٧.
(٤) سورة ق: ١٨.
(٥) ديوان قيس بن الخطيم: ٢٣٩.
(٦) معاني القرآن: ٧٧/٢.
(٧) سورة التوبة: ٦٢.
(٨) ديوان قيس بن الخطيم: ٢٣٩.

ولم يقل: راضون))[1]، وقيل إن توحيد الضمير في هذه الآية قد ((بلغ الغاية في تعظيمه بتوحيد الضمير الدال على وحدة الراضي لأن كل ما يرضي أحدهما يرضي الآخر فقال (أحق أن) أي بأن (يرضوه)) [2]، وهذا أقرب الآراء إلى الصحة. والله أعلم.

وتحدث القرآن الكريم في سورة الجمعة عن التجارة واللهو والانفضاض عن الصلاة إليهما بقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[3]، فذكر التجارة واللهو وهما اثنتان، ثم وحّد الضمير وأنثه فقال(إليها) فأعاده على التجارة دون اللهو كما هو ظاهر. والذي يرجع إلى سبب نزول هذه الآية يتبين له سبب إرجاع الضمير على التجارة، إذ أن المسلمين أصابهم قحط وجوع، فقدمت تجارة وهم يصلون مع النبي ﷺ فتركوه وخرجوا إلى التجارة، وكان من عادة العرب أيضاً أن يستقبلوا التجارة بالطبل والتصفيق، ولكن السبب الرئيس للخروج هو التجارة، ولهذا وحّد الله تعالى الضمير وأنثه لإعادته على التجارة أولاً ثم يأتي بعده في الدرجة الثانية اللهو والذي هو تابع للتجارة[4]. والله أعلم.

المبحث الثالث: الحمل على اللفظ والحمل على المعنى

جاء في القرآن الكريم بعض الآيات التي تُحمل على اللفظ وهو الشائع وبعضها الآخر يُحمل على المعنى، وهذا الباب معروف في العربية، ولكن القرآن الكريم قد استعمله بشكل

---

(1) معاني النحو: ١/٤٤٥.
(2) نظم الدرر: ٣/٣٤١. وينظر: بدائع الفوائد: ٣/٣١.
(3) سورة الجمعة: ١١.
(4) ينظر: معاني القرآن: ٣/١٥٧، نظم الدرر: ٧/٦٠٢-٦٠٣.

واسع من خلال آياته، وكان لهذه الاستعمالات بعض الدلالات القرآنية التي توصل إلى المعنى المراد بدقة ووضوح.

ومن الآيات التي جاءت تدل على اللفظ أو المعنى قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾(١)، فهنا نجد أن الخطاب للمفرد (يطع، يدخله) وبعد ذلك ينتقل إلى الجمع فيقول (خالدين) وهذا في أصحاب الجنة، وعند حديثه عن أهل النار يبدأ الخطاب بالمفرد (يتعد) ولكنه يستمر في هذا الإفراد بالصيغة فيقول (يدخله ناراً خالداً فيها).

قيل إن (خالدين) جاء بصيغة الجمع والإفراد حملاً على لفظ (مَن) ومعناه(٢).

وقيل أن الله تعالى إنما جاء بصيغة الجمع عند الإخبار عن أهل الجنة لأن ذلك يقتضي الأنس والسعادة عند أهل الجنة وذلك لاجتماعهم فيها، أما الإفراد في الآية الثانية وهو عند الحديث عن أهل النار فإنه يدل على الوحشة المقتضية للعذاب والهوان، وهذا مناسب لأهل النار(٣).

ومن الحمل على اللفظ والمعنى قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا**﴾(٤) فأنّث (خالصة) وذكر بعد ذلك (محرم)، وقيل إن ((تأنيثه لتأنيث الأنعام؛لأن ما في بطونها مثلها فأنّث لتأنيثها. ومن ذكّره فلتذكير(ما) وقد قرأ بعضهم (خالصُهُ لذكورِنا) يضيفه إلى الهاء... وقد تكون الخالصة مصدراً لتأنيثها))(٥). وقد خطّأ قوم هذا القول

((لأن ما في بطونها ليس منها فلا يشبه قوله (يلتقطه بعض السيارة)(٦) لأن بعض السيارة سيارة وهذا لا يلزم)) (٧)، وذكر بعض العلماء أن تأنيث (خالصة) للحمل على المعنى، وتذكير (محرّم) للحمل على اللفظ، ويجوز أن تكون التاء للمبالغة مثلها في الشعر(٨). وبما أن الآية نزلت لتبين أن ما في بطون هذه الأنعام من الأجنة هي للذكور فقط وليست للأزواج، فإنه أنث

---

(١) سورة النساء: ١٣-١٤.
(٢) ينظر: الكشاف: ٥١١/١، البيضاوي: ١٥٩/٢.
(٣) ينظر: معاني النحو: ١٤٧/١، التعبير القرآني: ٤٤.
(٤) سورة الأنعام: ١٣٩.
(٥) معاني القرآن: ٣٥٨/١-٣٥٩.
(٦) سورة يوسف: ١٠.
(٧) القرطبي: ٦٨/٧.
(٨) ينظر: الكشاف: ٥٥/٢، القرطبي: ٦٨/٧-٦٩، البرهان: ٤٣٧/٣-٤٣٨، البيضاوي: ٤٥٧/٢، نظم الدرر: ٧٢٤/٢.

خالصة للدلالة على الأجنة خاصة والتركيز عليها فهي الأساس في الكلام وهي مدار الحديث، والله أعلم.

ومن غريب الحمل على اللفظ والمعنى في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ **هَـذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**﴾[1]، فذكر في أول الآية لفظ (خصمان) بالتثنية وذكر بعدها (اختصموا) بصيغة الجمع، وكان من المفترض أن يقول (اختصما) بالتثنية أيضاً، وقيل إن ذلك من باب الحمل على المعنى لأن الخصمين ((جمعان ليسا برجلين، ولو قيل اختصما كان صواباً))[2]، إذن فقوله تعالى (هذان خصمان) حمل على اللفظ وقوله (اختصموا) حمل على المعنى[3].

وجاء في بعض آيات القرآن الكريم الحمل على اللفظ أولاً ومن ثم الانتقال إلى الحمل على المعنى، ومن ثم الرجوع إلى اللفظ وهذا كله في آيتين، وهذا يعتبر من التغريب الذي تفرد به القرآن الكريم ومن ذلك قوله: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيث لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّه بغَيْرِ علْم وَيَتَّخذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۞ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْه آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَاب أَلِيمٍ**﴾[4]، فقد أفرد في بداية الآية حملاً على اللفظ (ومن الناس من يشتري)، ومن ثم جمع فقال (أولئك) حملاً على المعنى، ومن ثم قال (إذا تتلى عليه) بالإفراد والتوحيد حملاً على اللفظ، وهذا كله من بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، فنجد أن الضمائر قد تنوعت فمرة يأتي الضمير بالإفراد ومرة بالجمع فيحصل بعض الالتباس في المعنى، وهذا كله مقصود في القرآن الكريم ولم يأت بالعفوية، إذ يقول أحد المفسرين إنه ((لما أنتج له هذا الفعل الشقاء الدائم بيّنه بقوله (أولئك) جامعاً حملاً على معنى (من) بعد أن أفرد حملاً على لفظها، لأن الجمع في مقام الجزاء أهول، والتعجب من الواحد أبلغ))[5]، فالأصل إذاً هو الإفراد لأن نزول الآية كان في النضر بن الحارث ولهذا حمل على اللفظ أولاً ثم أراد الله تعالى أن يبين جزاء كل من يعمل هذا العمل، فجمع حملاً على المعنى، وبعد ذلك رجع إلى الحديث عن الحارث بن النضر فأفرد (ومن يؤمن بالله ورسوله) حملاً على اللفظ.

ومن مشاكلة اللفظ للمعنى في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَقْنُتْ منْكُنَّ للَّه وَرَسُوله وَتَعْمَلْ صَالحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ** ﴾[6] فالحديث هنا عن نساء النبي، ولكنه جاء بالفعل في صيغة

---

(1) سورة الحج: ١٩

(2) معاني القرآن: ٢/٢٢٠.

(3) ينظر: الكشاف: ٣/٩.

(4) سورة لقمان: ٦-٧.

(5) نظم الدرر: ٦/٧. ينظر: البحر المحيط: ٨/٤١٠-٤١١.

(6) سورة الأحزاب: ٣١.

التذكير (يقنت) وهن إناث، وهذا يعد من الالتفات من التذكير إلى التأنيث، و((تـذكير (يقنـت) حملاً على لفظ (مَنْ) في التذكير (وتعمل) بالتأنيث حملاً على معناها؛لأنها للمؤنث... وتوجيـه الجماعة أنه لما تقدم على الثاني صريح التأنيث في (منكن) حسُن الحمل على المعنى)) [1]، وقد ((زعم الخليل رحمه الله أن بعضهم قرأ (ومن تقنت منكن لله ورسوله) فجُعلت كصلة التي حين عنيت مؤنثاً)) [2].

وقد تتعاقب الضمائر في بعض آيات القرآن الكريم نتيجة للحمل على اللفظ والمعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾[3] فذكر الطائفتين بالتثنيـة ثـم جمع فقال (اقتتلوا) ولم يقل (اقتتلتا) وقيل إن هذا ((هو مما حمل على المعنـى دون اللفـظ لأن الطائفتين في معنى القوم و الناس))[4]، وقد قرأ ((ابن أبي عبلة اقتتلتا على لفظ التثنية وزيد بن علي وعبيد بن عمير اقتتلتا على التثنية فراعى بالطائفتين الفريقان))[5]. ويبـدو أن الله تعـالى جمع (اقتتلوا) للدلالة على كثرة المتقاتلين في كل طائفة من الطائفتين، والله أعلم.

ومن الحمل على اللفظ ثم الحمل على المعنى ثم العودة إلى اللفظ قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْـسَنَ اللَّـهُ لَـهُ رِزْقاً**﴾[6] وقد ذكر أن هناك قاعدة تقول((إذا اجتمع الحمل على اللفظ والمعنى بدئ بـاللفظ ثـم بالمعنى،هذا هو الجادة في القرآن... كقوله تعالى (ومن يؤمن بالله) فعاد الضمير مـن(يدخلـه) مفرداً على لفظ (من) ثم قال (خالدين) وهو حال من الضمير))[7]. وذكر بعض العلماء أن سبب مجيء هذه الآية على هذا الشكل من الإفراد والجمع هو أنه ((لما أفرد الشرط والجزاء إشـارة إلى أنه لا يشترط في الإيمان ولا في جزائه مشاركة أحد، وإنه لا توقـف علـى شـيء غيـر الوصف المذكور، جمع الحال بشارة بأن الداخلين كثير... فقال (خالدين فيها).. ولما أعلـم أن الخلود لكل الداخلين إلى الجنة رجع إلى الأسلوب الأول تنصيصاً على كل فـرد إبلاغـاً فـي عظمة هذا الجزاء))[8].

([1]) البرهان: ٤٣٩/٣.
([2]) كتاب سيبويه: ٤١٥/٢.
([3]) سورة الحجرات: ٩.
([4]) الكشاف: ٥٦٣/٣، البحر المحيط: ٥١٦/٩.
([5]) كذا في البحر المحيط: ٥١٦/٩، والأصح وزيد بن علي وعبيد بن عمير اقتتلا على التثنية...، ينظـر: معجـم القـراءات القرآنية:٢٢١/٦.
([6]) سورة الطلاق: ١١.
([7]) البرهان: ٤٣٦/٣-٤٣٧.
([8]) نظم الدرر: ٣٩/٨.

ومن الآيات التي حملت على اللفظ والمعنى في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ ۝ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ﴾[١] فجمع في الآية الأولى فقال (يستمعون) وأفرد في الثانية فقال(ينظر)، وقد ذكروا أن ذلك من الحمل على اللفظ والمعنى، إذ أنه تعالى ((جمع دالاً على كثرتهم نظراً إلى معنى (من) وأفرد في النظر اعتباراً للفظها ودالاً على قلة الناظر بما ذكر))[٢].

إذن فالقران الكريم لا يأتي بهذه الأساليب اعتباطاً، فلا تأتي الآية محمولة على المعنى في موضع ثم تأتي محمولة على اللفظ من غير دلالة أو معنى يريد أن يوضحه القرآن الكريم، وهذا من البلاغة التي تفرد بها القرآن الكريم وأعجز بها العرب بسبب هذا النظم العجيب والأسلوب الرفيع. على أن الواضح الذي لا شك فيه أن الحمل على اللفظ أو المعنى في الجملة الواحدة أو الجمل المتتالية فيه الخروج المقصود عن المألوف ولفت نظر المتلقي وإثارة تساؤله.

المبحث الرابع: خلخلة المعطوفات

ورد في القرآن الكريم عدد من الآيات التي وجد فيها بعض الإشكالات من ناحية عطف بعضها على البعض الآخر، فمرة نجد أن القرآن الكريم يعطف المرفوع على المنصوب أو المنصوب على المرفوع، ومرة يعطف الفعل على الاسم أو العكس من ذلك، وغير ذلك من الخلخلة في هذه المعطوفات.

---

(١) سورة يونس: ٤٢-٤٣.
(٢) نظم الدرر: ٤٤٦/٣. وينظر: كتاب سيبويه: ٤١٥/٢، معاني النحو: ١٤٥/١-١٤٦.

ومن الآيات التي جاءت بهذا النمط من الخلخلة على سبيل المثال لا الحصر، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾[١] فنجد هنا أنه رفع (الصابئين) وهي معطوفة على ما قبلها (الذين امنوا والذين هادوا) وهما منصوبتان، وقيل أن ((الصابئون معطوف على المضمر في هادوا في قول الكسائي والأخفش قال النحاس: سمعت الزجاج يقول وقد ذكر له الأخفش والكسائي: هذا خطأ من جهتين أحدهما: أن المضمر المرفوع يقبح العطف عليه حتى يؤكد والجهة الأخرى أن المعطوف شريك المعطوف عليه فيصير المعنى أن الصابئين قد دخلوا في اليهودية، وهذا محال)) [٢]. وذكر الفرّاء أن (الصابئين) مرفوعة وهي معطوفة على (الذين) والتي هي مرفوعة أيضاً لأن نصب (إن) نصب ضعيف، فهي لا تؤثر إلا في الاسم دون الخبر ولهذا أجاز رفع الصابئين على أصل الكلام[٣]. وقد ذكر الخليل وسيبويه أن الرفع محمول على التقديم والتأخير ، والتقدير: أن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون والنصارى كذلك[٤]. وإنما قدم في اللفظ وأخّر في النيّة لأن التقديم الحقيقي هنا بزمان نزول كتبه ورسله عليهم السلام[٥]، وقيل أن الفائدة من تقديم (الصابئين) ((التنبيه على أنهم يُتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم، وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالاً وأشدهم غياً ، وما سموا صابئين إلا لأنهم صبئوا عن الأديان كلها، أي خرجوا))[٦].

ومن الآيات التي جعلت المفسرين يقفون طويلاً عندها قوله تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾[٧] فظاهر الآية أنه عطف (الطيرَ) وهو منصوب على (الجبال) وهي في حالة الرفع، ولكن العلماء تكلموا كثيرا في ذلك.

قال الفرّاء إن ((الطير منصوبة على جهتين: أحداهما أن تنصبها بالفعل بقوله: ولقد آتينا داود منا فضلاً . وسخرنا له الطير، فيكون مثل قولك: أطعمته طعاماً وماء، وتريد وسقيته ماء . فيجوز ذلك، والوجه الآخر بالنداء ، لأنك إذا قلت يا عمرو والصلْت أقبِلا نصبت الصلت لأنه إنما يدعى بأيهما، فإذا فقدتها كان كالمعدول عن جهته فنُصب)) [٨].

---

(١) سورة المائدة: ٦٩.
(٢) القرطبي: ١٤٧/٦.
(٣) ينظر: معاني القرآن: ٣١٠/١-٣١٢.
(٤) ينظر: كتاب سيبويه: ١٥٥/٢.
(٥) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل: ١٥-١٦.
(٦) الكشاف: ٦٣١/١-٦٣٢.
(٧) سورة سبأ: ١٠.
(٨)معاني القرآن: ٣٥٥/٢، مشكل إعراب القرآن: ٥٨٣/٢-٥٨٤.وينظر: كتاب سيبويه: ١٨٦/٢-١٨٧.

وقد أجاز الفرّاء في الموضع نفسه الرفع أيضاً[١].وقرأ بذلك ((السلمي وابن هرمز وأبويحيى وأبو نوفل ويعقوب وابن أبي عبلة وجماعة من أهل المدينة وعاصم في رواية: والطيرُ بالرفع عطفاً على لفظ (يا جبال)، وقيل عطفاً على الضمير في (أوّبي) ، وسوغ ذلك الفصل بالظرف وقيل رفعاً بالابتداء والخبر محذوف، أي والطير تؤوب))[٢]، وقد جوّز بعضهم أن يكون (الطير) مفعولاً معه[٣].

وهكذا نجد أن القرآن الكريم قد أحدث هذه الخلخلة في المعطوفات لكسر النمط والرتابة التي يسير عليها أولاً، ومن ثم لوجود بعض الدلالات لذلك الخروج وتلك الخلخلة.

ومن عدم انتظام المعطوفات في القرآن الكريم وخلخلتها قوله تعالى في سورة الصافات:﴿**إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ۞ وَحِفْظاً مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ** ﴾[٤] فعطف (حفظاً) وهي في حالة نصب على (زينة) وهي مجرورة، وهذا هو الظاهر.

أما العلماء فقد اختلفت آراؤهم في هذا العطف، فمنهم من قال أن (((حفظاً) مما حمل على المعنى لأن المعنى: إنّا خلقنا الكواكب زينةَ للسماء وحفظاً من الشياطين كما قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ**﴾[٥]. ويجوز أن يقدر الفعل المعلل كأنه قيل وحفظاً (من كل شيطان) زيناها بالكواكب، وقيل وحفظناها حفظاً)) [٦].

وذكر أحد المفسرين أنه((لما كان كون الشيء الواحد لأشياء متعددة أدل على القدرة وأظهر في العظمة، قال دالاً بالعطف على غير معطوف عليه ظاهر على مقدر يدل على أن الزينة بالنجوم أمر مقصود لا اتفاقي)) [٧]، وعلى هذا يكون معنى الآية: إنّا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب تجميلاً وحفظاً من كل شيطان مارد. والله أعلم.

ومن العطف الذي أحدث خلخلة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **رَبِّ لَولا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِّنَ الصَّالِحِينَ**﴾[٨] فعطف الفعل المجزوم (أكن) على الفعل المنصوب (فأصدّق) ولم يجعلها على نسق واحد في النصب.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه.
(٢) البحر المحيط: ٥٢٥/٨.
(٣) ينظر: الكشاف: ٢٨١/٣، البحر المحيط: ٥٢٥/٨.
(٤) سورة الصافات: ٦.
(٥) سورة الملك: ٥.
(٦) الكشاف: ٣٣٥/٣. وينظر: البيضاوي: ٥/٥، البرهان: ١٣١/٤-١٣٢.
(٧) نظم الدرر:٢٩٣/٦.
(٨) سورة المنافقون: ١٠.

وقد اختلف العلماء والمفسرون في تأويل هذا العطف، فمنهم من قال أنه عطف على الموضع، ومنهم من قال أنه عطف على المعنى أو ما يسمى بالعطف على التوهم، يقول الفرّاء ((إن الفاء لو لم تكن في (فأصدّق) كانت مجزومة، فلما رددت (وأكن) ردت على تأويل الفعل لو لم تكن فيه الفاء، ومن اثبت الواو ردّه على الفعل الظاهر فنصبه ، وهي في قراءة عبدالله . (وأكونَ من الصالحين). وقد يجوز نصبها في قراءتنا، وإن لم تكن فيها الواو؛لأن العرب قد تسقط الواو في بعض الهجاء، كما أسقطوا الألف من سليمن وأشباهه، ورأيت في بعض مصاحف عبد الله: فقولا فقلا بغير الواو)) [1] وقال الزمخشري أن جزم (أكن) عطفاً على محل (فأصدّق) كأنه قيل إن أخرتني أصدق وأكن[2].

وقال ابن عطية ان الجزم في (أكن) هو ((عطفاً على الموضع،لأن التقدير:إن تؤخرني اصدّق وأكن وهذا مذهب أبي علي الفارسي، فأما ما حكاه سيبويه عن الخليل فهو غير هذا وهو أنه جزم (وأكن) على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني،ولا موضع هنا لأن الشرط ليس بظاهر وإنما يعطف على الموضع حيث يظهر الشرط... والفرق بين العطف على الموضع والعطف على التوهم أن العامل في العطف على الموضع موجود دون مؤثره والعامل في العطف على التوهم مفقود وأثره موجود))[3].

وهكذا نجد أن العلماء قد اختلفوا في هذه الآية فكل واحد يعطي رأياً يخالف الرأي الآخر، ومنهم من اتفق على رأي واحد، ((ففي الآية الكريمة جاء بالمعطوف عليه على إرادة السبب وجاء بالمعطوف على معنى الشرط فجمع بين معنيين السبب والشرط. فالعطف إذن ليس على إرادة معنى الفاء بل على إرادة معنى جديد))[4]. وجاء في معاني النحو أنه ((عطف (أكن) المجزوم على (أصدّق) المنصوب وهو عطف على المعنى ذلك أن المعطوف عليه يراد به السبب والمعطوف لا يراد به السبب فإن (أصدّق) منصوب بعد فاء السبب أما المعطوف فليس على تقدير الفاء ولو أراد السبب لنصب ولكن جزم لأنه جواب الطلب))[5]. ولهذا نجد أن القرآن الكريم قد عطف الفعل المجزوم على المنصوب للتمييز بين إرادة سبب التأخير وبين

---

(1) معاني القرآن: ٣/ ١٦٠. وينظر: كتاب التفسح في منثور اللغة ومنظومها: ١١١، مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٧٣٧، أبو عمرو بن العلاء وجهوده في القراءة والنحو: ٥٤.
(2) ينظر: الكشاف: ٤/ ١١٢.
(3) البحر المحيط: ١٠/ ١٨٤-١٨٥. وينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤/ ١٣١، مغني اللبيب: ٢/ ٤٢٣.
(4) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ١٤٠.
(5) معاني النحو: ٣/ ٢٥٩.

جواب هذا الطلب، وهذا لا يحصل إذا كان الفعلان على نفس النمط من النصب أو الجزم. والله أعلم.

وقد ورد في القرآن الكريم عطف الفعل على الاسم، نحو قوله تعالى: ﴿**فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً**﴾[١] فعطف الفعل (جعل) على اسم الفاعل (فالق). وهو خروج عن الأصل، ولكن هذا الخروج لابد له من نكتة إذا جاء في القرآن الكريم.

وقد اختلفت الآراء في هذا العطف. وهناك أكثر من قراءة لهذه الآية قد ولّدها هذا العطف وهذه الخلخلة بين المعطوفات، فقد ((روى الأعمش عن إبراهيم النخعي أنه قرأ (فلَق الإصباح) على فعل والهمزة مكسورة والحاء منصوبة، وقرأ الحسن وعيسى بن عمرو وحمزة والكسائي (وجعل الليل سكناً) أي جعله يصلح أن يسكن فيه، وقرأ أهل المدينة (وجاعلُ الليل سكناً))[٢] وقيل إن من قرأ (وجعل الليل سكناً) ((تقوي جانب الإعراب فإن الشمس والقمر المعطوفين على الليل منصوبان بإجماع القرّاء. ولا يظهر نصبهما على القراءة الثانية إلا بتقدير جعل، أو جعل (جاعل) بمعناه، وهو تكلف يجتنب في الفصيح)) [٣]. ومن قرأ (وجاعل الليل سكناً) على اسم الفاعل فإنها)(تناسب السياق والنسق بعطف الاسم على الاسم وهو الأصل)[٤].

ومن المفسرين من حمل الاسم على معنى الفعل، في قراءة من قرأ (فالق الإصباح وجعل الليل سكناً)، (فـ((جعل الليل سكناً) بغير ألف ونصب (الليل) حملاً على معنى (فالق) في الموضعين لأنه بمعنى فلق لأنه أمر قد كان فحُمِل على المعنى وأيضاً فإن بعده أفعالاً ماضية وهو قوله: (وجعل لكم النجوم)،(أنزل من السماء ماءً فحمل) أول الكلام على آخره))[٥]. وقيل أن (الليل) في قراءة (جاعِلُ الليل سكناً) ((في موضع نصب في المعنى)) [٦].

وأفضل توجيه لهذه الآية على قراءة من قرأ (فالق الإصباح وجعل الليل سكناً) هو أن ((الفالق بمعنى الخالق على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما... (و جعل) المراد به الجعل المستمر في الأزمنة المختلفة لا الزمان الماضي فقط، ولا يجري على هذا مجرى الصفة

---

(١) سورة الأنعام: ٩٦.
(٢) إعراب القرآن للنحاس: ٥٦٧/١. وينظر: الكشاف: ٣٨/٢، تفسير أبي السعود:١٨٣/٢،وتفسير المنار: ٦٣٤/٧.
(٣) تفسير المنار: ٦٣٤/٧.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) القرطبي: ٣٤/٧.
(٦) معاني القرآن: ٣٤٦/١.

المشبهة لأن ذلك – كما قال بعض المحققين– فيما قصد به الاستمرار مشروط باشتهار الوصف بذلك الاستعمال وشيوعه فيه)) [١].

وعلى هذا فإن اسم الفاعل (فالق) في هذه الآية بمعنى خالق وهو بهذا الاستعمال يريد الإخبار عن شيء ثابت ومستمر وهو خلق الصبح ولذلك جاء بالاسم، ولمّا أراد الله تعالى أن يخبر عن سبب جعله الليل وهو راحة الإنسان وسكنه، وأنه لا يعوض عنه باقي الأوقات من النهار، جاء بصيغة الفعل (جعل) لأنه يدل على التجدد والحدوث وفيه دليل على أن الليل هو أفضل الأوقات والأزمنة لسكن الإنسان وراحته، ولا يحدث ذلك إلا بهذا الوقت. والله أعلم.

ومن عطف الأفعال على الأسماء في القرآن الكريم أيضاً قوله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾**[٢] فجاء بالفعل (يقبضن) معطوفاً على اسم الفاعل (صافات) ولم يقل (قابضات) وذلك ((لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة، لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مدّ الأطراف وبسطها، وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك، فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح)) [٣].

وبعد ذكر هذه الأمثلة في آيات القرآن الكريم من خلخلة المعطوفات فهو يعتبر خروجاً عن الأصل وكسراً للنمطية التي تسير عليها اللغة، ولكن القرآن الكريم لم يكن أسيراً لهذه القواعد ، وإنما نجده يخرج عنها ويفلت من قبضتها وجعلها تابعة له، وهذه هي الجادة والصواب. وهذا الخروج عن ظاهر قواعد اللغة مقصود في القرآن الكريم، فهو ليس عبثاً ولاعتباطاً وإنما هو خروج لدلالات يريد أن يبينها ولنكتة يوضحها، وقبل هذا أو ذاك فهو يريد من الأسماع أن تصغي إليه بهذا الخروج ولكي لا يمل المسلمون من قراءته وسماعه.

---

(١) روح المعاني: ٣٣٧/٧-٣٣١.
(٢) سورة الملك: ١٩.
(٣) الكشاف: ١٣٨/٤، وينظر: روح المعاني: ٢٩/٢٩، البيضاوي: ٣٦٥/٥، البرهان: ١٢٨/٤، نظم الدرر: ٧٩/٨.

الفصل الرابع

التغريب اللغوي
على مستوى مجازات القران

- التشبيه في القرآن الكريم
- الاستعارة في القرآن الكريم
- الكناية في القرآن الكريم

التشبيه في القرآن الكريم

التشبيه في اللغة يعني: ((التمثيل، وأشبه الشيءُ الشيءَ: ماثله))[1].

وفي الاصطلاح هو ((الدلالة على مشاركة أمرٍ آخر في معنـــى))[2]، وبمعنـــى أدق هـــو ((إلحاق أمر (المشبه) بأمر (المشبه به) في معنى مشترك (وجه الشبه) بأداة (الكاف أو كأن وما في معناها) لغرض ((فائدة))))[3]، فقولنا (محمد كالأسد) نكون قد ألحقنا (محمد) وهـــو المـــشبه بـــ(الأسد) الذي هو المشبه به، أما وجه الشبه بينهما وهو المعنى المشترك فهي الشجاعة، وأداة التشبيه هي الكاف والغرض من التشبيه ((هو الإيضاح والبيان مع الإيجاز والاختصار))[4].

([1]) لسان العرب: شبه.
([2]) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢١٧.
([3]) علوم البلاغة: ١٩٤.
([4])علوم البلاغة: ٢٠٧.

وقبل الحديث عن التشبيه في آيات القرآن الكريم لابد أن نبين العلاقة بين التشبيه والتمثيل، إذ ((أن التشبيه عام، والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلاً))[1]. وقد مزج الكثير من العلماء بين التشبيه والتمثيل وجعلوهما شيئاً واحداً[2].

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم تشبيهات كثيرة، يقرّب بها للسامعين المعاني والحقائق التي يقررها، وهذه التشبيهات القرآنية كثيرة منوعة، وموزعة في مختلف سور القران.

منها تشبيهات تصور لنا نماذج بشرية لأصناف من البشر، وتصرفاتهم، وأعمالهم، فهناك تشبيهات للمؤمنين وصفاتهم، وتشبيهات للمنافقين وأعمالهم، وتشبيهات للكافرين وضلالهم، وتشبيهات للجنة ونعيمها، وتشبيهات للنار وعذابها.

وسوف نقف عند بعض هذه التشبيهات التي تشكل ظاهرة (غريبة) لما فيها من أساليب ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم لغرض التشويق وشد انتباه السامعين وإضافة شيء من الجمالية للآيات التي ذكرت فيها هذه التشبيهات، وعدم بيان أحد أطراف التشبيه بشكل دقيق وواضح للسامعين.

أولاً: الغرابة في وجه الشبه:ـ

شبه القران الكريم المنافقين وأعمالهم وصفاتهم عدة تشبيهات وذلك لكشف الصورة التي هم عليها وبيان ذلك للناس جميعاً، ومن هذه التشبيهات قوله تعالى: **﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾**[3]، فهذا مثل ضربه الله تعالى في حال المنافقين إذ قال: **﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ ۞ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴾**[4]، ثم أعقبه بمثل وتشبيه آخر، وهو قوله (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق)، وهو مثل ثانٍ لهؤلاء المنافقين، إذ نجد فيه ((صورة للمطر الذي ينهمر بغزارة في ليلة مظلمة حالكة تغطي الأرجاء كلها، مع ما يرافق هذا المطر من برق ورعد

---

(1) أسرار البلاغة: ٧٥.وينظر: علوم البلاغة: ٢٠٧.

(2) ينظر على سبيل المثال: أسرار البلاغة: ٩١-٩٢، تفسير الرازي: ٦٦/٢، البحر المحيط: ١٠٤/٢-١٠٦، البلاغة والتطبيق: ٣٠٥-٣٠٦، الأمثال في القرآن الكريم: ١٢١.

(3) سورة البقرة: ١٩.

(4) سورة البقرة: ١٧-١٨.

وعواصف، تحدث الخوف والرعب في الأنفس.. كما نجد صورة لأناس خائفين في وسط هذه الصواعق التي تنزل من السماء لتقتلع كل ما تقع عليه، ولشدة أصواتها لا يعودون قادرين على الاحتمال، فيجعلون أصابعهم في آذانهم))[١].

وهذه الصورة التي عرضها القرآن الكريم لهؤلاء المنافقين((هي امتداد للتشبيه السابق. ولكنه يتناول الإشكال المختلفة للعمليات النفسية المريرة التي يكابدها المنافقون، حيث يُبرز التشبيه: مدى التوتر والتمزق والصراع الذي يُعاني منه هؤلاء المنافقون، في غمرة بحثهم عن المكاسب الدنيوية التي من أجلها مارسوا عملية النفاق))[٢].

والظاهر في هذه الآية أنه تعالى مثّل المنافقين بالصِّيب وهو المطر النازل من السماء في جو مظلم حالك فيه رعد وبرق، فقد قال بعضهم أن معنى (((أو كصيب: أو كمثل صيب))[٣]، ويبدو أن هذا الرأي فيه شيء من عدم الدقة وبعيد عن المعنى المراد وهو المشبه به، وقيل أيضاً ((إن التشبيه على التفصيل، فالمطر مثل القرآن أو الإسلام، والظلمات مثل لما فيه من البراهين الواضحة))[٤].

وأكثر العلماء والمفسرين ذهبوا إلى أن ((المعنى أو كمثل ذوي صيب، والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا ما لقوا... والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه أن التمثيلين جميعاً من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة))[٥].

ومن خلال هذه الآراء يبدو أن الرأي الأخير هو اصح هذه الآراء وأقربها في تصوير حالة المنافقين، ويتضح كذلك أن جزءاً من المشبه به محذوف من الكلام وهو (أصحاب صيب أو ذوي صيب)، وهذا المعنى يتضح من خلال تمعننا في سياق الآية الكريمة.

أما وجه الشبه في الآية فنرى أنه غير واضح بشكل دقيق. إلا بعد إمعان النظر فيها. فما هو وجه الشبه بين أصحاب الصيب وبين المنافقين؟.

والجواب على هذا السؤال هو أنه كما كان أصحاب الصيب في حيرة من أمرهم في ذلك الجو الممطر المظلم الذي فيه صواعق ورعد وبرق كذلك المنافقون هم في حيرة وتردد واضطراب من أمرهم في حالة النفاق.

---

(١) الأمثال والمثل والمثلات في القرآن الكريم: ٣٣٨-٣٣٩.
(٢) دراسات فنية في صور القرآن: ١٤.
(٣) معاني القرآن: ١/١٧.
(٤) معترك الأقران: ٢/٥٦٥. وينظر: تفسير الرازي: ٢/٧٢.
(٥) الكشاف: ١/٢٠٩-٢١١. وينظر: تفسير الرازي: ٢/٧٢، التبيان: ١/٢٢، البحر المحيط: ١/١٣٨-١٣٩، معترك الأقران: ٢/٥٦٥.

وضرب الله تعالى مثلاً للذي آتاه علماً فانسلخ عن آيات الله وتخلى عن عمله، وترك الحق واتبع الباطل وكان من الغاوين، أخلد إلى الأرض واتبع هواه. وأتبعه الشيطان يسوقه في عالم الضلال والضياع والسعي وراء مطامع الدنيا، إذ قال تعالى في حق هذا الضال: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾[١] هذا الذي آتاه الله العلم فضلَّ، ولم يستفد من علمه، ولم يلتزم به وسعى وراء المطامع والشهوات، مثله كمثل الكلب في لهثه إذ أنه دائم اللهاث إن حملت عليه، وإن لم تحمل، فهذه الصفة دائمة اللصوق به.

يقول الزمخشري شارحاً لهذا التشبيه أن ((صفته-أي الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها- التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في أخس أحواله وأذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه أي: شدّ عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرّض بالحمل عليه))[٢].

ويبين لنا الرازي معنى هذا المثل وبمن يضرب له إذ يقول ((من آتاه الله العلم والدين فمال إلى الدنيا وأخلد إلى الأرض كان مشبهاً بأخسِّ الحيوانات وهو الكلب اللاهث))[٣].

ومن الواضح أن المشبه لحقه التفصيل والوصف الدقيق، أما المشبه به فجاء مجملاً، وأخفى ذلك وجه الشبه بعض الخفاء كما هو واضح من خلال الآية، فالمشبه كان ضالاً يطلب المعرفة فلما جاءته وفهمها تركها وعاد ضالاً فهو يشبه الكلب اللاهث على كل حال، على أن التطابق أو وجه الشبه بين الكلب اللاهث والمنكر لآيات الله ليس ظاهراً فهو يحتاج إلى شيء من التفكر والتمعن في هذا المثل.

ثانياً : الغرابة في المشبه به

ذكر القرآن الكريم بعض التشبيهات التي جاء فيها المشبه غامضاً، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[٤].

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٥-١٧٦.
(٢) الكشاف: ٢/١٣١.
(٣) تفسير الرازي: ١٥/٤٧. وينظر: البحر المحيط: ٥/٢٢٣-٢٢٤، ومعترك الأقران: ٢/٣١١-٣١٢.
(٤) سورة البقرة: ١٧١.

وقد اختلف العلماء والمفسرون في بيان هذا التشبيه، فالظاهر من الآية أنه تعالى شبه الذين كفروا بالراعي الذي ينعق ((وهذه الآية لابد في فهم معناها من تقدير محذوف واختلفوا، فمنهم من قال: المثل مضروب بتشبيه الكافر بالناعق.

ومنهم من قال: هو مضروب بتشبيه الكافر بالمنعوق به، ومنهم من قال: هو مضروب بتشبيه داعي الكافر بالناعق، ومنهم من قال: هو مضروب بتشبيه الداعي والكافر بالناعق والمنعوق به)) [١] وتفصيل هذا القول المجمل من عدة وجوه منها ((قول الأخفش والزجاج وابن قتيبة، كأنه قال: ومثل من يدعو الذين كفروا إلى الحق كمثل الذي ينعق، فصار الناعق الذي هو الراعي بمنزلة الداعي إلى الحق، وهو الرسول عليه الصلاة والسلام وسائر الدعاة إلى الحق وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه التشبيه أن البهيمة تسمع الصوت ولا تفهم المراد، وهؤلاء الكفار كانوا يسمعون صوت الرسول وألفاظه، وما كانوا ينتفعون بها وبمعانيها لاجرم حصل وجه التشبيه (الثاني) مثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم من الأوثان كمثل الناعق في دعائه ما لا يسمع كالغنم، وما يجري مجراه من الكلام والبهائم لا تفهم، فشبه الأصنام في أنها لا تفهم بهذه البهائم، فإذا كان لاشك أن ههنا المحذوف هو المدعو، وفي القول الذي قبله المحذوف هو الداعي، وفيه سؤال هو أن قوله (إلا دعاءً ونداءً) لا يساعد عليه لأن الأصنام لا تسمع شيئاً (الثالث) قال ابن زيد: مثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم كمثل الناعق في دعائه عند الجبل، فإنه لا يسمع إلا صدى صوته.. فكذلك هؤلاء الكفار إذا دعوا هذه الأوثان لايسمعون إلا ما تلفظوا به من الدعاء والنداء))[٢].

والراجح من هذه الأقوال، ما جاء عن العكبري أن ((في الكلام حذف مضاف تقديره: داعي الذين كفروا: أي مثل داعيهم إلى الهدى كمثل الناعق بالغنم، وإنما قدر ذلك ليصح التشبيه، فداعي الذين كفروا كالناعق بالغنم، ومثل الذين كفروا كالغنم المنعوق بها، وقال سيبويه لما أراد تشبيه الكفار وداعيهم بالغنم وداعيها، قابل أحد الشيئين بالآخر من غير تفصيل اعتماداً على فهم المعنى))[٣].

---

(١) البحر المحيط: ١٠٤/٢.

(٢) تفسير الرازي: ٨/٥. وينظر: معاني القرآن: ٩٩/١-١٠٠، الكشاف: ٣٢٨/١، مسائل الرازي وأجوبتها: ١١، البحر المحيط: ١٠٥/٢-١٠٦، معترك الأقران: ٣٧٣/٣.

(٣) التبيان: ٧٥/١.وينظر كتاب سيبويه :٢١٢/١.

وهكذا نراهم قد جاءوا بهذه الآراء المختلفة، والسبب في ذلك يعود إلى وجود حذف في الكلام، وهذا الحذف أدى إلى شد القارئ والسامع لهذه الآية والتشويق إلى معرفة المعنى وهذه من الأساليب التي تفرّد بها القرآن الكريم في حالة التشبيه.

وشبهت الحياة الدنيا في القرآن الكريم عدة تشبيهات، الغرض منها أن يصور للناس قصر هذه الحياة الدنيا التي تلهيهم عن الآخرة وعن الله تعالى، ومن هذه التشبيهات قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ**﴾(١).

وقد اختلفت الآراء في هذا التشبيه، وهذا الاختلاف ناتج عن طول جملة المشبه به. فقد ذكر بعضهم أنه ((ينبغي أن تعلم أن المثل الحقيقي أو التشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى تمثيلاً لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر حتى أن التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقلياً محضاً كانت الحاجة إلى الجملة أكثر))(٢).

ويضرب لنا الجرجاني مثالاً من القرآن الكريم يستدل به على كلامه هذا وهو قوله تعالى: (إنما مثل الحياة الدنيا كماء...الآية) إذ يدعو إلى النظر في هذا التشبيه ((كيف كثرت الجمل فيه حتى إنك ترى في هذه الآية عشر جمل إذا فصلت. وهي وإن كان قد دخل بعضها في بعض حتى كأنها جملة واحدة فإن ذلك لا يمنع من أن تكون صورة الجمل معنا حاصلة تشير إليها واحدة واحدة. ثم إن التشبيه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض وإفراد شطر من شطر حتى إنك لو حذفت منها جملة واحدة من أي موضع كان أخل بالمغزى من التشبيه))(٣). فنرى أن الجرجاني قد ذهب إلى أن المشبه به منتزع من أمور عدة وليس من جملة واحدة.

أما الزمخشري فقد ذهب إلى أن ((هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاماً بعدما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه))(٤) فنراه قد ذهب إلى أن المشبه به هنا هو نبات الأرض على الرغم من قوله إن هذا التشبيه من التشبيهات المركبة.

---

(١) سورة يونس: ٢٤.
(٢) أسرار البلاغة: ٨٧
(٣) أسرار البلاغة: ٨٧. وينظر: الإيضاح: ٢٥٩-٢٦٠، الإتقان في علوم القرآن: ١٣٠/٣.
(٤) الكشاف: ٢٣٣/٢. وينظر: البحر المحيط: ٣٧/٦.

وهناك من يقول أن المشبه به هو الماء إذ أن ((الظاهر تشبيه الحياة الدنيا بماء فيما يكون به ويترتب عليه من الانتفاع ثم الانقطاع))(١). وهذا هو الظاهر من لفظ الآية الكريمة.

أما ما يفهم بالمعنى فإن التشبيه في هذه الآية يتضمن عنصر الحركة إذ أنه تعالى: أراد أن يشبه الحياة الدنيا وسرعة زوالها بصورة الأرض(٢) التي تزينت وأخذت زخرفها وصارت كالعروس وتوهم أصحابها أن أرضهم هذه لا تتغير ولا تموت حتى جاءها أمر الله تعالى فجأة فأصبحت هشيماً أمام أعينهم كأنها لم تكن على الإطلاق، وهكذا الحياة الدنيا سريعة الزوال والانقضاء فلا يغتر بها عاقل.

أما التشبيه الثاني للحياة الدنيا فهو أقل طولاً من الأول وفيه شيء من الإيجاز وهو قوله تعالى: ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً** ﴾(٣).

وقد اختلفوا في بيان المشبّه به في هذه الآية، فالناظر إلى النص يجد أنه تعالى شبّه الحياة الدنيا بالماء لأنه قال (مثل الحياة الدنيا كماء) إذ أن أداة الشبه جاءت مرتبطة بلفظ الماء(٤)، ((وقالت الحكماء: إنما شبه تعالى الدنيا بالماء لأن الماء لا يستقر في موضع، كذلك الدنيا لا تبقى على حال واحد، ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة وكذلك الدنيا، ولأن الماء لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى، ولأن الماء إذا كان بقدر كان نافعاً منبتاً وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر))(٥).

أما الفريق الآخر فقد ذهب إلى أن هذا التشبيه من التشبيهات المركبة ((إذ ليس المراد تشبيه حالة الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يُتمحّل لتقديره، بل المراد تشبيه حالها في نضارتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارفاً ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن))(٦).

ويبدو أن هذا القول هو الأقرب إلى الصحة إذ أنه تعالى شبه الحياة الدنيا ومتاعها لسرعة زوالها وفنائها بماء نزل من السماء فأنبت نباتاً ثم أصبح هذا النبات هشيماً متطايراً في الهواء بسبب الأيام التي أتت عليه فجعلته كأن لم يكن، وكذلك هو حال الدنيا.

---

(١) البحر المحيط: ٣٦/٦-٣٧. وينظر: الأمثال في القرآن الكريم: ٣٢٣.
(٢) ينظر: الأمثال والمثل والتمثيل والمثلات في القرآن الكريم: ٤٥١.
(٣) سورة الكهف: ٤٥.
(٤) ينظر: تفسير القرطبي: ٢٩٧/١٠-٢٩٨، البحر المحيط: ١٨٥/٩.
(٥) تفسير القرطبي: ٢٩٨/١٠.
(٦) الإيضاح: ٢٤٠. وينظر: تفسير الرازي: ١٣١/١١، تفسير المراغي: ٢٧٦/٥.

وهذا القصر والإيجاز في التشبيه جاء ليؤدي غرضاً معيناً وهو التناسب مع قصر الحياة الدنيا فـ((قد استخدم النسق اللفظي في تقصير عرض المشهد كما استخدمت وسائل العرض الفنية لهذا الغرض. فهذا (التعقيب) الذي تمثله هذه (الفاء) في تتابع المراحل، يتفق مع طريقة العرض السريعة. ثم هذا الماء النازل لا تختلط به الأرض فتنبت، بل يختلط به نبات الأرض مباشرة، وهذه حقيقة، ولكنها حقيقة تعرض في الوضع الخاص الذي يحقق السرعة المطلوبة))(١)، فالموقف هنا لا يتطلب التفصيل كما هو حاصل في الآية التي قبلها كما بينا.

ثالثاً: الغرابة في بناء التشبيه:

شبّه القرآن الكريم الجنة بتشبيهين، تركت المفسرين والمتحدثين عنها في حيرة، وأول هذين التشبيهين قوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ**﴾(٢) فقد اختلفوا في معنى لفظ (مثل)، فذهب فريق إلى أنه بمعنى الصفة، وذهب الفريق الآخر إلى أنه بمعنى المثال.

أمّا الفريق الأول فقد قال أنّ مثل الجنة يعني ((صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه على الابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه. أي فيما قصصناه عليكم مثل الجنة)) (٣). وقد ذهب الفرّاء إلى ما ذهب إليه سيبويه في جعل المثل بمعنى الصفة(٤). و((أنكر أبو علي أن يكون مثل بمعنى صفة قال: إنما معناه التنبيه)) (٥).

وهكذا نرى أنهم قد ذهبوا ((إلى أن لفظ المثل فيها استعير من معناه الاصطلاحي.. إلى الصفة، ومعناه: صفة الجنة، لما في وصف الجنة من غرابة تشبه غرابة الأمثال. فهي في نظر هؤلاء ليس مثلاً كغيره من أمثال القرآن)) (٦).

---

(١) التصوير الفني في القرآن: ١٠١. وينظر: الأمثال والمثل والتمثيل والمثلات في القرآن الكريم: ٤٥٢-٤٥٣.
(٢) سورة الرعد: ٣٥.
(٣) الكشاف: ٣٦٢/٢. وينظر: البحر المحيط: ٣٩٥/٦.
(٤) ينظر: معاني القرآن: ٦٥/٢. التبيان: ٦٥/٢.
(٥) البحر المحيط: ٣٩٥/٦.
(٦) الأمثال في القرآن الكريم : ٢١٩.

أمّا الفريق الآخر ومنهم الزجاج فقد ذهب إلى أن المثل هنا بمعنى المماثلة، والمثال، فقد ذكر الزجاج أنّ((معناه مثل الجنة جنة تجري على حذف الموصوف تمثيلاً لما غاب بما نشاهد))[١].

وقد ذكر السيوطي ((أن الخبر مقدّر، وفي الآية حذف مضافين، والتقدير: مثل الجنة التي وُعد المتقون مثل جنة تجري من تحتها الأنهار)) [٢].

ومهما يكن من رأي فإن هذه الآية جاءت لتشبيه الجنة التي وعد المتقون بجنة الحياة الدنيا مع ملاحظة الفارق بين الجنتين.

أما التشبيه الثاني للجنة فهو في قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ**﴾[٣] وقد اختلفوا في لفظ (مثل) في هذه الآية أيضاً، كما هو حالهم في الآية الأولى، فذهب بعضهم إلى أن (مثل) هنا بمعنى الصفة أي صفة الجنة ((عن ابن عباس قال: مثل الجنة: أمثال الجنة ، صفات الجنة. قال ابن عباس: وكذلك قرأها على ابن أبي طالب أمثال))[٤]، وقال البعض الآخر أن لفظ (مثل) بمعنى المثال و التمثيل، إذ أن ((مثل الشيء ، أو مثاله يمكن أن ينتزع من وصف الشيء ذاته، إذا ما تعذر العثور على نظير له، أما مع توفر النظير، أو المثل فليس هناك ما يدعو إلى العدول عن هذا المثل واتخاذ وصف الشيء ذاته مثالاً له، وصفة الآخرة تماثل صفة الحياة الدنيا، وإن تميزت عنها))[٥]. واختلافهم هذا جاء من ورود كلمة (مثل الجنة) إذ أنها هيأت الذهن للمشبه به لكنه لم يرد منصوصاً عليه.

ولا يهمنا هنا إن كان لفظ (مثل) بمعنى الصفة أو المثال والتمثيل، إنما الشيء الذي نريد أن نتحدث عنه هو التشبيه الذي وقع في هذه الآية. إذ يقول الرازي: ((كأنه قال هو فيها – أي الجنة– كمن هو خالد في النار، فالمشبه يكون محذوفاً مدلولاً عليه بما سبق))[٦].

أمّا الزمخشري فقد ذكر غير هذا إذ قال: ((فكأنه قيل: أمثل الجنة كمن هو خالد في النار أي كمثل جزاء من هو خالد في النار))[٧].

---

(١) البحر المحيط: ٣٩٥/٦، وما وجدناه في أعراب القرآن الكريم للزجاج أن التقدير (مما يقص عليكم مثل الجنة): ٩٣٧.
(٢) معترك الأقران: ٣٣٧/٢.
(٣) سورة محمد: ١٥.
(٤) معاني القرآن: ٦٠/٣. ينظر: مسائل الرازي: ٣١٧، البحر المحيط: ٤٦٥/٩-٤٦٦.
(٥) الأمثال في القرآن الكريم: ٣٠٢.
(٦) تفسير الرازي: ٤٩/٢٨.
(٧) الكشاف: ٥٣٣/٣.

وقد ذكر الفراء أن الكلام هنا مبني على الاستفهام إذ يقول ((لم يقل: أمَّن كان في هذا كمن هو خالد في النار؟ لكنه فيه ذلك المعنى فبُنيَ عليه))(1).

والذي يتضح من خلال هذه الأقوال أن رأي الإمام الرازي هو الأقرب إلى الصواب، إذ أن المقصود من الآية الكريمة هو تشبيه أصحاب الجنة وما يتنعمون به في الجنة، بأصحاب النار وعذابهم، ووجه الشبه الذي بينهما في هذه الآية هو الخلود. أي أن كلاً منهما خالد في المكان الذي يصير إليه، وهذا الخلود أما في الجنة، وأما في النار.

وهكذا نجد أن اختلاف العلماء في كون هاتين الآيتين من الأمثال أم لا، جاء بسبب بناء كل منهما، فكل واحدة من هاتين الآيتين وقع فيها حذف، وهذا الحذف هو الذي أدى إلى الغرابة والاختلاف في كونهما مثلين أم لا.

الغرابة في تداخل التشبيه:

قد تتداخل التشبيهات في القرآن الكريم، فنجد أن هناك بعض الآيات القرآنية قد اشتملت على تشبيهين متداخلين، وقد تجد أن هناك جزء من المشبه قد يذكر بعد المشبه به وهكذا، وهذا يعد من الغريب إذ أن العربية قلما يوجد فيها هذا التداخل في التشبيهات.

ومن الأمثلة على ذلك التداخل قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾(2).

فهذه الآية قد اشتملت على تشبيهين، الأول منهما يقول أنّ المؤمن إذا تصدق بصدقة يجب أن لا يمن على المتصدق عليه ولا يؤذيه بالكلام لأن ذلك سوف يحبط عمله، وقد شبهه بالرجل الذي ينفق ماله ويتصدق به رياءً أمام الناس مع أنه لا يؤمن بالله ورسوله.

وبعد هذا التشبيه مباشرة وبنفس الآية جاء بتشبيه آخر، وهو قوله(**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً**) إذ جعل التشبيه الأول كله مشبهاً ثم جاء بالمشبه به وهو قوله (فمثله كمثل صفوان ...).

((إن الأهمية الفنية لهذا التشبيه المتداخل تتمثل في كون النص القرآني الكريم قد شبّه أولاً عمل المنفق المنّان، بعمل المنفق المرائي، ثم شبه كلاً من هذين الشخصين(المنّان والمرائي)

---

(1) معاني القرآن: ٣/٦٠ . ينظر: التبيان: ٢/٢٣٧، البحر المحيط: ٩/٤٦٦.

(2) سورة البقرة: ٢٦٤.

شبههما بالحجر الأملس الذي علاه الغبار، وأصابه المطر، فأزال غباره وتركه صلداً، لا يمكن ردّ التراب عليه))[١].

والغرابة في هذا التشبيه هو أن الحجر الذي لا ينفع و لا فائدة من سقيه هو الذي لا يجدي معه الإكرام والنعمة، كذلك المال والرزق بيد الكافر يكشف رذائله، وبهذا فالرجل الذي رزقه الله وأساء العمل برزقه مثل الحجر الذي لا ينفع معه المطر بل يزيد صلابة وقوة.

وقد تتداخل أركان التشبيه فيما بينها في القرآن الكريم، ومن ذلك التداخل قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ**﴾[٢]، فظاهر اللفظ أن المشبه هو الذين كفروا أما في المعنى فإن أعمالهم هي المشبه. لكن الآية الكريمة عادت إلى الذين كفروا في قوله تعالى: (لا يقدرون مما كسبوا على شي).

ولهذا فقد اختلف العلماء في معنى هذا التشبيه، فمنهم من قال أن المثل للذين كفروا وغيره يقول أن المثل لأعمال الذين كفروا، وسوف نقف عند كل رأي من هذه الآراء.

فقد ذكر صاحب الكشاف أن (المثل) هو ((مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره: وفيما يقص عليك (مثل الذين كفروا بربهم) والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة (أعمالهم كرماد) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول: كيف مثلهم؟ فقيل: أعمالهم كرماد))[٣].

وقيل أن جملة (أعمالهم كرماد) خبر للمبتدأ الذي هو (مثل الذين كفروا) أي صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد[٤].

ومن الآراء التي ذكرت في هذه الآية قول الفخر الرازي((أن يكون أعمالهم بدلاً من قوله (مثل الذين كفروا) والتقدير:مثل أعمالهم وقوله (كرماد) هو الخبر))[٥].

وذكر الفراء أنه ((أضاف المثل إليهم ثم قال(أعمالهم كرماد اشتدت به الريح، والمثل للأعمال والعرب تفعل ذلك))[٦].

والرأي الراجح من بين هذه الآراء التي ذكرت هو أن المثل هنا بمعنى المثال، وأنه تعالى شبّه أعمال الذين كفروا بالرماد الذي تطاير في الهواء و((اعلم أن وجه المشابهة بين هذا المثل

---

(١) دراسات فنية في صور القرآن: ٦١.
(٢) سورة إبراهيم: ١٨.
(٣) الكشاف: ٢/٣٧١-٣٧٢. وينظر: تفسير الرازي: ٨٣/١٩. وينظر: التبيان: ٦٧/٢، البحر المحيط: ٤٢٢.
(٤) ينظر: الكشاف: ٣٧٢/٢، تفسير الرازي: ٨٣/١٩.
(٥) تفسير الرازي: ٨٣/١٩. ينظر: البحر المحيط: ٤٢٢/٦.
(٦) معاني القرآن: ٢١/٧٢-٧٣. ينظر: الكشاف: ٣٧٢/٢، تفسير الرازي: ٨٣/١٩.

وبين هذه الأعمال هو أن الريح العاصف تطير الرماد وتفرق أجزاءه بحيث لا يبقى لذلك الرماد أثر ولا خبر، فكذا ههنا أن كفرهم أبطل أعمالهم وأحبطها بحيث لم يبق من تلك الأعمال معهم خبر ولا اثر)[١].

وقد ذكر صاحب البرهان أن هذا التشبيه من باب التشبيه المعقول بالمحسوس[٢].

وهكذا نجد أن هذا التشبيه جاء ((لعمل الكافر بالرماد أولاً،وبكونه قد اشتدت الريح به ثانياً وبكونه في يوم عاصف ثالثاً: هذا التشبيه جاء يحمل مسوغاته الفنية الضخمة عبر تفصيلاته التي اشرنا إليها، وإلا كان من الممكن أن يكتفي التشبيه بمجرد المادة الرمادية دون هذه التفصيلات. لكن بما أن النص يستهدف توضيح الحقيقة القائلة بأن عمل الكافر لا ينتفع صاحبه به بأي وجه من وجوه الانتفاع، حينئذ فإن التفصيلات المشار إليها جاءت تحمل مسوغاتها ودلالاتها الفنية الممتعة.. وهذا كله في صعيد المفردات التي انتظمت المشبه به، أي عبارة: كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف)) [٣].

أما التداخل الحاصل في هذا التشبيه، فهو أن جزءً من المشبه جاء تعقيباً عليه بعد ذكر المشبه به، هذا الجزء هو قوله تعالى: (لا يقدرون مما كسبوا على شيء) وهذا التعقيب على المشبه ((قد اقترب بمهمة عضوية بالغة الأهمية هي أن النص بما أنه قد استهدف قضيتين أحداهما: بطلان عمل الكافر والأخرى عدم الانتفاع به مطلقاً، حينئذ جاءت الفقرة الأولى (مجملة) لا تشير إلى أكثر من القول أن عمل الكافر على نحو الإجمال هو : كرماد.

ولكن عندما تكفل التشبيه بهذا التفصيل للرماد، وبكونه قد اشتدت الريح ببعثرته، وبكون حدوث ذلك في يوم عاصف حينئذ جاءت المسوغات للتعقيب عليه بعبارة (لا يقدرون مما كسبوا على شيء) واضحة.

فالكافر من الممكن أن يُخيل إليه أنه سوف ينتفع بما كسبه من الأعمال بأحد الوجوه، ولكي يردم مثل هذا التخيل المخطئ، حينئذ فإن التعقيب على ذلك بأنه لا يقدر مما كسب على شيء كفيل بأن يجعل الكفار يائسين تماماً من الانتفاع بعملهم)) [٤].

---

(١) تفسير الرازي: ٨٣/١٩.
(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤٧٨/٣.
(٣) دراسات فنية في صور القرآن: ٢٧٠.
(٤) دراسات فنية في صور القرآن: ٢٧٠-٢٧١.

وهذا التداخل في التشبيه نكاد لا نراه في كلام البلغاء وأهل البيان، ممن عرف منهم الفصاحة والبلاغة وحسن النظم، ولذلك عد هذا الشكل من التشبيهات القرآنية من الأشكال الغريبة التي لم يسمع بها أهل العربية.

الاستعارة في القرآن الكريم

ذكر الجرجاني في مفهوم الاستعارة قوله: ((اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية))[١].

---

(١) أسرار البلاغة: ٢٢.

وذكر في موضع آخر أن الاستعارة ((أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجئ إلى اسم المشبه به فتُعيرَهُ المشبه وتجريَهُ عليه؛ تريد أن تقول: رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول: (رأيت أسداً)))[1].

أما الخطيب القزويني فقد عرف الاستعارة بقوله: ((هي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له.

وقد تقيَّد بالتحقيقية لتحقق معناها حساً أو عقلاً، أي: التي تتناول أمراً معلوماً يمكن أن يُنصّ عليه ويُشار إليه إشارة حسية أو عقلية، فيقال: إن اللفظ نُقل من مسماه الأصلي فجُعل اسماً له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه)) [2].

وقد عدّ الكثير من علماء البيان أن الاستعارة قسم من أقسام المجاز إذ أن ((كل استعارة مجاز، وليس كل مجاز استعارة)) [3].

((والدليل على أن الاستعارة مجاز لغوي؛كونها موضوعة للمشبه به، لا للمشبه ولا لأمر أعم منها، كالأسد، فإنه موضوع للسبع المخصوص، لا للرجل الشجاع، ولا للشجاع مطلقاً، لأنه لو كان موضوعاً لأحدهما لكان استعماله في الرجل الشجاع من جهة التحقيق لا من جهة التشبيه، وأيضاً لو كان موضوعاً للشجاع مطلقاً لكان وصفاً لا اسم جنس.

وقيل: الاستعارة مجاز عقلي، بمعنى أن التصرف فيها في أمر عقلي لا لغوي لأنها لاتُطْلَق على المشبه إلا بعد ادّعاء دخوله في جنس المشبه به، لأن نقل الاسم وَحْدَه لو كان استعارة لكانت الاعلام المنقولة كـ(يزيد) و(يَشْكُر) استعارة))[4].

وقد ذكر القرآن الكريم الكثير من الاستعارات الجميلة والغريبة في معانيها التي تدل على بلاغة القرآن الكريم وإعجازه.

ومن هذه الاستعارات قوله تعالى: ﴿ **فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ**﴾[5] فالمستعار هنا هو اللباس، والمستعار له هو الجوع، وقد استعار الذوق للكسوة ولم يقل كساها لباس الجوع والخوف لأن الذوق أبين في إدراك العذاب من الكسوة ولأن الإذاقة ((جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون: ذاق فلان البؤس والضر،

---

(1) دلائل الإعجاز: ١٠٥-١٠٦.
(2) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٨٥.
(3) أسرار البلاغة: ٣٤٦. وينظر: الإيضاح: ٢٩١.
(4) الإيضاح: ٢٩١.
(5) سورة النحل: ١١٢.

وأذاقه العذاب.. وأما اللباس فقد شبّه به لاشتماله على اللابس ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث)) [1]، وقيل إن استعارة الإذاقة بدل الكسوة إشعار بشدة الإصابة[2].

((فإن قيل: لمَ لم يقل: فأذاقها الله طعم الجوع والخوف؟ قلنا: لأن الطعم وإن لام الإذاقة، فهو مفوِّت لما يفيده لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عم أثرهما جميع البدن عموم الملابس)) [3].

ونرى هنا ((أن عملية التبادل تمت بين ما هو (ملبوس) وما هو (مطعوم) وهذا أحد أشكال الطرافة المذهلة، كما هو واضح. فالمطعوم والملبوس والمسكون ونحو ذلك، تظل ظواهر (متجانسة) فيما بينها، على نحو ما تلحظه من (التجانس) بين حواس الإنسان، ولذلك تظل هذه الاستعارة متسمة بعنصر (الطرافة))) [4].

إذن فالغريب هنا دخول استعارة على استعارة دخولاً مباشراً، فقد جعلهم تعالى يلبسون الجوع ويذوقون اللباس فشبه الجوع بالثوب ثم شبه الثوب بالطعام.

ومن الاستعارات التي تتسم بالغرابة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**﴾[5]. فأثبت هنا الجناح للذل، وهي من الاستعارات التخييلية، إذ ((أن مدار الاستعارة على الخيالات فههنا تخيل للذل جناحاً واثبت لذلك الجناح ضعفاً تكميلاً لأمر هذه الاستعارة))[6]. وقد ((استعير للولد أولاً جانب، ثم للجانب جناح، وتقدير الاستعارة القريبة: واخفض لهما جانب الذل، أي: اخفض جانبك ذلاً))[7].

وقيل إن ((الذل في هذه الآية الكريمة يتجسد في هيئة ماله جناح خفيض ويبرز للعيان في أضعف صورة ارتضاه الله تعالى للولد تعبيراً للطاعة والبر))[8].

ونرى أن القرآن الكريم قد استعمل في هذه الاستعارة لفظتي (الذل والرحمة) معاً، وهذا الاستعمال له دلالة جميلة ((فالذل هنا مؤشر إلى (التواضع) لمن هو (أعلى) منه، أي الوالدين

---

(1) الكشاف: ٤٣١/٢. وينظر: فنون التصوير البياني: ٢٧٩-٢٨٠.
(2) ينظر: الإيضاح: ٣٠٧.
(3) الإيضاح: ٣٠٨.
(4) دراسات فنية في صور القرآن: ٣٠٨.
(5) سورة الإسراء: ٢٤.
(6) تفسير الرازي: ١٥٣/٢.
(7) البرهان في علوم القرآن: ٤٩٠/٣.
(8) البلاغة والتطبيق: ٣٥٦.

بصفتهما قد شملاه برعايتهما. وأما الرحمة فهي مؤشر إلى حالة عكسية، وهي: الشفقة ممن هو (قوي) على من هو ضعيف))(١). وذلك عند كبر كل منهما وحاجتهما إلى الرعاية.

وهكذا نرى أن إضافة الجناح إلى الذل قد ولدت تنازعاً، إذ الجناح للولد الذي أُمر بخفضه، هذا يضاف إلى الذل لغوياً، وربما كان إيراد الجناح منسوباً إلى الذل يشير إلى أن للولد جناحاً آخر للتكبر يستعلي به على أبويه، ولعل جمال الاستعارة في هذا الجناح الآخر المفهوم المسكوت عنه.

ومن المجازات الرائعة والاستعارات البارعة قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ **فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ**﴾(٢) فكأن الجدار لوهنه وضعفه يؤثر الراحة لطول ما مرّ به من زمن.

((ويتجلى المجاز العقلي مستشرفاً إذ الجدار ليس كائناً ذا إرادة، ولا هو بمريد شأن من يريد في الفعل أو الترك، ولكنه البعد المجازي الذي وهب الحياة للجماد وأشاع الحس في الكائنات))(٣).

يقول أبو عبيدة: ((وليس للحائط إرادة ولا للموات ولكنه إذا كان في هذه الحال من ربه فهو إرادة))(٤).

وقد أوضح الإمام القرطبي المعنى من هذه الآية إذ يقول:((أي قرب أن يسقط، وهذا مجاز وتوسع وقد فسره في الحديث بقوله: (مائل) فكان فيه دليل على وجود المجاز في القرآن، وهو مذهب الجمهور. وجميع الأمثال التي حقها أن تكون للحي الناطق متى أسندت إلى جماد أو بهيمة فإنما هي استعارة، أي لو كان إنسان لكان ممتثلاً لذلك الفعل))(٥)، وبعد فإن الإرادة هنا بمعنى أن كل الشواهد تدل على أنه سينقض.

---

(١) دراسات فنية في صور القرآن: ٣١٨.
(٢) سورة الكهف: ٧٧.
(٣) مجاز القرآن محمد حسن الصغير: ١٢٢.
(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/٤١٠.
(٥) تفسير القرطبي: ٣٢٣/١٠. وينظر: تفسير الرازي: ١٣٤/٢١، البحر المحيط: ٢١٠/٧. المجاز في البلاغة العربية: ١١٩.

ومن ابلغ الاستعارات وأغربها في البيان قوله تعالى على لسان سيدنا زكريا: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً**﴾(١)، والذي يهمنا هو قوله (واشتعل الرأس شيباً).

((واشتعال الرأس استعارة المحسوس للمحسوس إذ المستعار منه النار والمستعار له الشيب، والجامع بينهما الانبساط و الانتشار))(٢).

يقول الزمخشري في بيان هذه الاستعارة ((عن أبي عمرو شبّه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر، وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج الشيب مميزاً ولم يضف الرأس اكتفاءً بعلم المخاطب أنه رأس زكريا))(٣).

وقد توسع علماء البيان في الكلام عن هذه الاستعارة وشرحوها شرحاً رائعاً عجيباً فيه من البيان والجمال الشيء الكثير.

وقد تكلم ابن الأثير عن هذه الاستعارة قائلاً: ((شبه انتشار الشيب باشتعال النار، ولما كان الشيب يأخذ في الرأس، ويسعى فيه شيئاً فشيئاً حتى يحيله إلى غير لونه الأول كان بمنزلة النار التي تشتعل في الجسم، وتسري فيه، حتى يحيله إلى غير حاله الأولى.

وأحسن من هذا أن يقال إنه شبه انتشار الشيب باشتعال النار في سرعة التهابه، وتعذر تلافيه، وفي عظم الألم في القلب به، وأنه لم يبق بعد إلا الخمود))(٤).

وقد ذكر الزركشي أن الجامع بين المستعار منه وهي النار والمستعار له وهو الشيب مشابهة ضوء النار لبياض الشيب(٥). بينما ذكر صاحب البحر المحيط أن الجامع بينهما هو الانبساط والانتشار كما ذكرنا.

ومن أورع ما قيل في هذه الاستعارة قول أحد علماء البيان ((فانظر إلى كلمة الاشتعال ولم أوثرت على كلمة الانتشار؟ وانظر إلى الشيب كيف يدب شيئاً فشيئاً ثم يهجم ليزيل كل آثار الشباب كما تشتعل النار بعد أن تأخذ ببعض أجزاء الحطب وليس هذا فحسب، انظر كيف اسند

---

(١) سورة مريم: ٤.
(٢) البحر المحيط: ٧/٢٤٠.
(٣) الكشاف: ٢/٥٠٢. وينظر: تفسير القرطبي: ١١/٦.
(٤) المثل السائر: ٢/١٤٠-١٤١.
(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/٤٩٢.

الاشتعال إلى الرأس ولم يقل اشتعل شيب الرأس ولو قيل هذا لبقيت الاستعارة على ما هي عليه، وقارن بين هذا وبين قولك (اشتعلت النار في البيت) و (اشتعل البيت نارا)))[1].

وهنا ازدجت الاستعارة بالمجاز المرسل، إذ الاستعارة في اشتعل والذي يشتعل الشعر لكن المذكور وهو محل الشعر (الرأس)، وشيباً بمجيئها تمييزاً أوجبت الإبهام في الاشتعال، وإلا فالتمييز لأي شيء إذ أنه لم يرفع الغموض بل أضافه.

واختيار القرآن الكريم لفظة الاشتعال بدلاً من الانتشار أو الإنارة لأن ((الاشتعال يعني فناء الشيء المشتعل، فإذا أشعلنا الذبالة للمصباح مثلاً، فإن الذبالة تتلاشى بالطبع وهكذا بالنسبة إلى شعر الرأس، وهو أسود اللون، فالسواد هو المظهر الطبيعي لفتوة العمر، فإذا تحول إلى بياض، حينئذ يصبح مظهراً أو مؤشراً لتلاشي العمر، وعندما يتحول بالتدريج إلى بياض أو شيب، بصفة أن الشيب هو العبارة البديلة لبياض الشعر، حينئذ فإن عملية التحول تظل شبيهة تماما بعملية الاشتعال للشيء، أي أن كل شعرة سوداء سوف تشتعل لتتلاشى ولكن التلاشي هنا ليس زوالاً للشيء بل هو التحول إلى شيء آخر كالذبالة التي تتحول إلى رماد مثلاً، وهكذا يتحول الشعر الأسود إلى رماد أبيض إلى شيب))[2].

وثمة كناية خلف هذه الاستعارة، إذ ليس مراد زكريا أن لون شعره تغير تغيراً شاملاً وسريعاً مثل اشتعال النار، إذ لا شك أن زكريا أراد أنه لم يعد أمامه فسحة من العمر.. وهو يوشك أن يتوفى ويريد ولياً يخلفه قبل موته القريب.

ومن الاستعارات البليغة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**﴾[3]، فهذا التعبير لا يستطيع أحد من البشر أن يقول مثله أبداً، فهو كالسبيكة المتراصة المتماسكة البناء.

وقد استعار هنا محسوساً لمعقول بوجه عقلي((فالقذف وهو: الإلقاء بشدة، والدمغ واصله: كسر الدماغ أمران محسوسان، وكل منهما مستعار، والمستعار له علو الحق، وذهاب الباطل وهما معقولان)) [4].

---

(1) البلاغة فنونها وأفنانها: ٢٢٢.
(2) دراسات فنية في صور القرآن: ٣٦٧.
(3) سورة الأنبياء: ١٨.
(4) البلاغة فنونها وأفنانها: ١٧٢.

يقول الإمام الزمخشري في بيان هذه الاستعارة ((بل) إضراب عن اتخاذ اللهــو واللعــب وتنزيه منه لذاته، كأنه قال سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب، بل مــن عادتنـــا وموجــب حكمتنـــا استغنائنا عن القبيح أن نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق، واستعارة لذلك القذف والدمغ تصويراً لإبطاله وإهداره ومحقه، فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلاً قذف به علــى جــرم رخو أجوف فدمغه))[١]. وقيل أن الحق هنا هو القرآن الكريم، وأما الباطل فهو الشيطان[٢].

إن اختيار الكلمتين- القذف والدمغ- إذن ((بعثاً للقوة في نفوس المؤمنين لكي يكونوا ذوي بأس، هذا من جهة وإرشادهم من جهة ثانية كيف يصوبون سهامهم حتى يصيبوا مــن عــدوهم مقتلاً، لذا أوثرت كلمة (الدمغ) فقد تكسر رِجْل عدوك أو يده، وقد تــصيب أي موضـــع مــن جسمه، لكن ذلك كله لا يحول بينه وبين أن يرد عليك سهامك في نحرك، لا يحول بينه وبين أن يوقعك في مصائده، لأن إصابتك التي أصبته بها لم تحل بينه وبين أن يــستغرق فـــي تفكيـــره ومكره ليرد لك الكيل كيلين)) [٣].

وبعد، فإننا نلاحظ أن هذه الآية تمثل حرباً بين الحق والباطل، وأن القاذف هو الله تعالى، وأنها حرب ماضية مستمرة بدليل وجود الفعلين (نقذف، يدمغـــه) المــضارعين المـــستمرين، ونلاحظ أيضاً أن (إذا) الفجائية تصور لنا أن الباطل يبدو قوياً جباراً فإذا انتهت المعركة بهلاكه فهذا يفاجئ كثيراً من البشر.

الكناية في القرآن الكريم

لقد أفرد الجرجاني فصلاً جمع فيه الكناية والمجاز وأطلق عليه ((في اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره))[٤]، وعرّف الكناية بـــ((أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فـــلا يـــذكره

(١) الكشاف: ٥٦٥/٢-٥٦٦ ، تفسير الرازي: ١٢٧/٢٢-١٢٨. وينظر: البحر المحيط: ٤١٦/٧.
(٢) ينظر: تفسير القرطبي: ١٥٢/١١، البحر المحيط: ٤١٦/٧.
(٣) البلاغة فنونها وأفنانها: ٢١٩.
(٤) دلائل الإعجاز: ١٠٥.

باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفُه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه))[1].

وقد ضرب بعض الأمثلة التي توضح هذا المعنى، إذ يقول أن((قولهم (هو طويل النجاد) يريدون طويل القامة (وكثير رماد القدر) يعنون كثير القِرى... فقد أرادوا في هذا كله كما ترى معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود)) [2].

وذكر القزويني نفس هذا المعنى للكناية إذ يقول ((الكناية: لفظ أُريدَ به لازمُ معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ))[3]، وذكر الأمثلة نفسها التي استشهد بها الجرجاني. وقيل أن الكناية ((لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته))[4].

وقد تقترب الكناية من التشبيه في بعض الأمثلة من ذلك قوله تعالى: ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ** ﴾[5]، إذ يقول الزمخشري (((حرث لكم) مواضع حرث لكم، وهذا مجاز، شبههن بالمحارث تشبيهاً لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور ... (فأتوا حرثكم أنى شئتم) من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة))[6]. وقد ذكر أبو عبيدة هذه الكناية في مجازه إذ يقول إن هذه الآية هي ((كناية وتشبيه))[7].

والظاهر أن أول الآية الكريمة تشبيه للنساء بالحرث، ثم تأتي الكناية في قوله تعالى ((فأتوا حرثكم أنى شئتم)) فالحرث جاء أولاً مشبهاً به ثم صار كناية عن الزوجة.

وجاء عن ابن الأثير قوله: ((ومن محاسن التشبيهات قوله تعالى(نساؤكم حرث لكم) وهذا يكاد ينقله تناسبه عن درجة المجاز إلى الحقيقة، والحرث هو الأرض التي تحرث للزرع، وكذلك الرحم يزدرع فيه الولد ازدراعاً كما يزرع البذور في الأرض))[8].

ومن خلال هذه الأقوال يتضح لنا مدى التداخل بين الكناية والتشبيه في هذه الآية حتى لايكاد احدهم أن يفرق بينهما.

---

(1) المصدر نفسه.
(2) المصدر نفسه.
(3) الإيضاح: ٣٣٠.
(4) جواهر البلاغة: ٢٩٧.
(5) سورة البقرة: ٢٢٣.
(6) الكشاف: ٣٦٢/١. وينظر: تفسير الرازي: ٦١/٦، البحر المحيط: ٤٢٨/٢.
(7) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٧٣/١.
(8) المثل السائر: ١٣٩/٢-١٤٠.

ومن الآيات التي تداخل فيها الكناية والاستعارة قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً**﴾[١].

يقول الزمخشري ((جعلت الشرارة للمكان وهي لأهله وفيه مبالغة ليست في قولك: أولئك شر وأضل، لدخوله في باب الكناية التي هي أخت المجاز))[٢].

أما صاحب البحر المحيط فيقول((فإن كان ذلك في الآخرة أن يراد بالمكان حقيقة، إذ هو جهنم، وإن كان في الدنيا فيكون كناية واستعارة للمكان في قوله: أولئك شر، لدخوله في باب الكناية)) [٣].

وقد تتداخل الكناية مع التمثيل من ذلك قوله تعالى في تمثيل من يغتاب الآخرين: ﴿**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾[٤].

يقول الزمخشري في صدد الحديث عن الآية ((تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه، وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير، ومنها جعل ما هو الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة، ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحداً من الأحدين لا يحب ذلك، ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخاً، ومنها إن لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعل ميتاً)) [٥].

ومن غريب الكناية في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾[٦]، فقد كنّى سبحانه وتعالى عن الكِبر بقوله: تصعر خدك. أي لا تُعليه تكبراً. و(تصعر) مأخوذة من(الصَعَر) وهو داء يصيب البعير يلوي منه عنقه[٧].

فالمطلوب الظاهر من الآية الشريفة هو: التواضع وعدم التكبر أو الاستعلاء على الآخرين مهما كانوا. أما النكتة البلاغية في ذلك فهي أن ((يشعر المرء من خلالها بأن الكِبْر داء يصيب بعض الناس فيفقدهم الاعتدال وينفِّر الناس منهم))[٨].

ومنها أيضاً قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾[١]. و((المنكب: مجتمع عظم العضد والكتف))[٢] وهو((أرق شيء من البعير وانبأه عن أن يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه))[٣].

---

(١) سورة المائدة: ٦٠.
(٢) الكشاف: ٦٢٦/١. ينظر: تفسير الرازي: ٣٢/١٢، البلاغة فنونها وأفنانها: ٢٦٦.
(٣) البحر المحيط: ٣٠٩/٤.
(٤) سورة الحجرات: ١٢.
(٥) الكشاف: ٥٦٨/٣. وينظر: المثل السائر: ٧٢/٣، البلاغة فنونها وأفنانها: ٢٦٤.
(٦) سورة لقمان: ١٨.
(٧) ينظر: لسان العرب: صعر.
(٨) فنون التصوير البياني: ٢٩٤.

فهذه كناية يراد بها بيان فرط التذليل والتمهيد وبسط الأرض وتيسير المشي عليها تيسيراً كبيراً لكل المخلوقات. وتوضيح أن كل ما عليها ممهَّد مذلَّل ميسَّر لمن شاء.

والمشي هو الكناية هنا عن العمل في الزرع والتجارة ونحوها، ولكنه سبحانه لمّا ذكر تذليله للأرض لم يستثن منها شيئاً بل أمر بالمشي فيها كلها وخص (المناكب) بالذكر بياناً لقدرته سبحانه وتعالى ولشدة تمهيد الأرض لمخلوقاته، والمناكب استعارة للأرض من البعير.

ومن بديع الكنايات وغرابتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾[٤] إذ كنى سبحانه وتعالى عن الأنثى بقوله (ينشأ في الحلية) كون المرأة ميسرة للرقة والزينة والنسل.

وسياق الآية الشريفة يتحدث عن الكافرين الذين جعلوا الملائكة إناثاً. وقد نفى الله سبحانه كون الملائكة إناثاً في هذه الآية نفياً يدل على إعجاز الهي عظيم وبلاغة قرآنية معجزة، فإنه تعالى ((لو نفى أن يكون الملائكة إناثاً على غير هذه الطريقة لشعر هذا الجنس (جنس الإناث) بأنه اقل منزلة من الجنس الآخر، ولكنه سبحانه جاء بالنفي من خلال سياق يهدهد نفس الأنثى ويدخل السرور عليها، فهي منذ طفولتها تكون في الحلية ....، وتكتمل صورة الأنثى بعدم قدرتها على الاستمرار في الخصومة))[٥].

وقد كنّى الله سبحانه وتعالى في كتابه عن الأنف بالخرطوم بقوله: ﴿**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**﴾[٦] لأن الخرطوم للفيل والخنزير وذلك على سبيل الاستخفاف به والاستهانة والإذلال له، ((فإذا شبه أنف الإنسان به كان ذلك غاية في الإذلال والإهانة كما يعبر عن شفاه الناس بالمشافر، وعن أيديهم وأرجلهم بالأظلاف والحوافر))[٧].

فـ((الوجه أكرم موضع في الجسد والأنف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له، لذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الأنفة... وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة))[٨] فالنكتة في هذه الكناية كامنة في قصد الاستهزاء بهذا الكافر والاستخفاف به وتصويره بأبشع الصور وأفظعها وتنفير الناس عنه وعن ما يعتقده وجعله موضع سخرية لهم وتتدّر وتفكّه.

---

(١) سورة الملك: ١٥.
(٢) لسان العرب: نكب
(٣) الكشاف: ١٣٨/٤.
(٤) سورة الزخرف: ١٨.
(٥) فنون التصوير البياني: ٢٩٥-٢٩٦.
(٦) سورة القلم: ١٦.
(٧) صفوة التفاسير: ٤٢٧/٣.
(٨) الكشاف: ١٤٣/٤.

ومن أغرب كنايات القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ**﴾[1] إذ جعل الله تعالى(الموت) غائباً وان له حضوراً عند اقتراب أجل الإنسان، قال أبو حيان((وكنى بالموت عن مقدماته لأنه إذا حضر الموت نفسه لا يقول المحتضر شيئاً...، وفي قوله: حضر كناية غريبة إنه غائب لابد أن يقدم، ولذلك يقال في الدعاء:واجعل الموت خير غائب ننتظره))[2].

وثمة كنايات ثبتها القرآن الكريم في ذاكرة العرب، مثل الكناية عن الخير والإيمان باليمين، وعن الشر والإثم والكفر بالشمال ومثل بياض الوجوه وسوادها كناية عن فلاح المؤمن وفرحه وخيبة الكافر وخجله وخسرانه، ومنها الكناية عن معاندة الحق والإيمان ونكران النعمة بالصمم والخرس والعمى، وغير ذلك كثير شاع على ألسنة العرب الذين أعجبهم في مواضعه الفنية في كتاب الله.

---

(1) سورة البقرة: ١٣٣.
(2) البحر المحيط: ١/٦٤٠.

الخاتمة

خلاصة بأهم نتائج البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده تعالى أن أنعم عليّ بإتمام هذا البحث، وأساله تعالى أن يتقبله مني خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعل له القبول عند كل مطّلع عليه، وبعد فهذه خلاصة بأهم نتائج البحث:

إن القرآن الكريم في بعض حروفه وألفاظه وتراكيبه ومجازاته يخرج عن المألوف الذي اعتاد عليه الناس، هذا الخروج يؤدي إلى كسر أفق الأنتظار، وهو خروج متعمد، الهدف منـــه

عدم الملل من قراءته، لأن الكلام إذا جاء على نمط ونسق وتأليف واحد فإنه يمل قراءته، ولهذا جاء القرآن الكريم على هذا الأسلوب والنمط. وهذه هي النتيجة الرئيسة التي تنطوي تحتها النتائج التي سوف نذكرها، وتدخل مع كل منها.

- إن حروف الجر في القرآن الكريم لم تأت بمعنى حرف آخر وإنما جاءت بمكانها وهي تدل على معانيها، وقد يأتي الفعل أو الاسم مع هذه الحروف متضمناً أكثر من معنى.
- قد يحذف حرف الجر في القرآن الكريم مع الأفعال التي لا تتعدى إلا به، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[١]، وقد يؤدي هذا الحذف إلى تضمين الفعل معنى إضافياً نحو قوله تعالى: ﴿وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾[٢]، أي لا تنووا ولا تصمموا، وهذا من باب التوسع في المعنى.
- وقد يذكر حرف الجر مع الأفعال التي تتعدى بدونه، وذلك لنفس الغرض السابق الذي ذكرناه، وهو التضمين، نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ﴾[٣].
- لا يوجد في القرآن الكريم واو تسمى بواو الثمانية، والتي قيل أنها زائدة في الكلام ولا معنى لها وبقاؤها كحذفها، لأن القرآن الكريم لا يوجد فيه زيادة و لا نقص، وكل حرف من حروفه أو ألفاظه يدل على المعنى الذي وضع له في ذلك السياق. ولهذا فإن هذه الواو جاءت لتؤدي وظيفة معنوية في تلك الآيات القرآنية.

- إن الألفاظ الغريبة التي تصف النار وعذابها جاءت اشد غرابة وندرة من الألفاظ التي تصف الجنة ونعيمها كلفظة (الغسلين والسجين والغساق) ذلك أن هذه الشدة في الغرابة تدل على شدة النار وعذابها وأهوالها.
- إن غرابة بعض الألفاظ الواردة في القرآن الكريم نابعة من قدمها، إذ أن القرآن الكريم ذكر بعض الأسماء القديمة التي تعود إلى الأمم السابقة كعاد وثمود وإرم وغيرها من الأمم التي قصهّا علينا، من ذلك (الرس، المنسأة).
- لا يوجد في القرآن الكريم ما يسمى بالألفاظ الأعجمية، كما ذكر بعض العلماء، لأن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، أما الألفاظ التي ذكرت على أنها أعجمية كـ(استبرق،

---

(١) سورة الأعراف: ١٦.
(٢) سورة البقرة: ٢٣٥.
(٣) سورة النمل: ١٨.

صرهن، العرم) فهي إما أن تكون لغة مشتركة بين العرب والعجم، أو أنها من اللغات السامية القديمة التي كانت العرب تستعملها.

- وقد تعود الغرابة في بعض هذه الألفاظ إلى أنها لم تكن مستعملة قبل نزول القرآن الكريم، فلم يسمع بها احد من العرب قبل نزوله ومنها لفظة(أبابيل، الأب) فهي ألفاظ مرتجلة جاء بها القرآن الكريم.
- مخاطبة القرآن الكريم للمذكر بصيغة التأنيث أو المؤنث بصيغة التذكير، وذلك لأغراض ودلالات يدل عليها ذلك الخطاب أو الإخبار.
- انتقال القرآن الكريم في خطابه في بعض الآيات من الإفراد إلى التثنية أو الجمع أو الانتقال من الجمع إلى التثنية، ومخاطبة المثنى بالجمع، وغيرها من هذه الأساليب، ويعد هذا من التغريب اللغوي لأن هذه الحالات قد ندرت في قواعد النحو وأصوله، أما القرآن الكريم فقد جاء بها لكسر ذلك النمط وتلك الرتابة التي اعتادها السامعون، وقد دلّ ذلك الخروج والانتقال على بعض الدلالات والمعاني.
- قد يجتمع الحمل على اللفظ والحمل على المعنى في آية واحدة نحو قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً**﴾(1)، وقد يذكر اللفظ ثم ينتقل إلى الحمل على المعنى ثم يعود إلى اللفظ نحو قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً**﴾(2)، وهذا كله من باب الخروج عن المألوف ولفت نظر المتلقي واثارة تساؤله أولاً، ومن ثم لوجود بعض الدلالات والمعاني المراد بيانها.
- وجد أن القرآن الكريم يخرج عن قواعد النحو التي وضعها العلماء فيما يخص العطف، فقد يعطف المرفوع على المنصوب نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى**﴾(3) وقد يعطف المنصوب على المرفوع أو المجرور، وعطف الفعل على الاسم، وكل ذلك له مبرراته ودلالاته الخاصة به.
- إن القرآن الكريم في تشبيهاته واستعاراته وكناياته يشكل أنموذجاً فريداً وغريباً من نوعه، فقد تجد في باب التشبيه أن وجه الشبه غامض في بعض الآيات، وقد نجد أيضاً أن

---

(1) سورة الأحزاب: ٣١.
(2) سورة الطلاق: ١١.
(3) سورة المائدة: ٦٩.

المشبه به أو المشبه غير واضح إلا بعد تمعن وجهد طويل، وقد تتداخل أركان التشبيه فيما بينهما.

أما في باب الاستعارة فقد جاء القرآن الكريم بأروع الاستعارات والكنايات التي لم يعهدها أهل العربية، وقد قلّ من يأتي بمثل تلك التشبيهات والاستعارات والكنايات، ولذلك عُدت من الأمور الغريبة التي لم يعهد بها السامعون. فلم يسمع على سبيل المثال أن جزءاً من المشبه يأتي بعد ذكر المشبه به، نحو قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ**﴾[1] ، ولم نسمع أيضاً أن أحداً من العرب جعل للذل جناحاً كما فعل القرآن الكريم حين اثبت الجناح للذل على سبيل الاستعارة، وهكذا مع بقية هذه الأقسام من البلاغة القرآنية العجيبة.

---

(1) سورة إبراهيم: ١٨.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- **ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، د. عبد الفتاح لاشين.**

ط١، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٢ م.

- **أبو عمرو بن العلاءجهوده في القراءة والنحو، د.زهير غازي زاهد.**

مركز دراسات الخليج، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٧م.

- **الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (٩١١ هـ).**

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.

- **الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد النحوي الهروي (٤١٥ هـ)**

تحقيق: عبدالمعين الملوحي، دمشق، ١٩٧١م.

- **أساس البلاغة، الامام الكبير جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(٥٣٨هـ).**

تحقيق: عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.

- **أسرار البلاغة في علم البيان ، عبدالقاهر الجرجاني(٤٧١ هـ).**

صححه علق عليه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م.

أسرار جمالية قرانية، عدنان عبدالقادر

حامل المسك، لجنة زكاة الشامية والشويخ.

- **الأشباه والنظائر في النحو، للشيخ العلامة جلال الدين السيوطي(٩١١هـ).**

ط٢، مطبعة حيدر آباد الدكن، ١٣٦٠ هـ.

- **اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي.**

ط٩، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.

- **اعراب القران المنسوب للزجاج أبو اسحاق ابراهيم بن السري ت:(٣١١ هـ).**

تحقيق ودراسة ابراهيم الابياري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العلمية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٣م.

- **اعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس (ت٣٣٨ هـ).**

تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧م.

- **الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر الفياض.**

ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة ،١٩٨٨.

- **الأمثال والمثل والتمثيل والمثلات في القرآن الكريم، سميح عاطف الزين.**

ط ١ دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

- **إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري (٦١٦هـ).**

تحقيق وتصحيح: الأستاذ إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٨٠ هـ-١٩٦١م.

- **أمية بن أبي الصلت، بهجت عبدالغفور الحديثي.**
- سلسلة كتب التراث، بغداد، ١٩٧٥م.
- **الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني، البيان، البديع)، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن قاضي القضاة سعد الدين ابي محمد عبدالرحمن القزويني(٧٣٩هـ).**

ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

- **البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي(٧٥٤ هـ).**

طبعة جديدة بعناية صدقي محمد جميل، دار الفكر، ١٩٩٢م.

- **بدائع الفوائد، شمس الدين ابن القيم الجوزية(٧٥١هـ).**

دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان(د.ت).

- **البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي(٧٩٤ هـ).**

خرج أحاديثه وقدم له وعلق عليه مصطفى عبدالقادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ٢٠٠١م.

- **البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع، د.فضل حسن عباس، ط٩.**

، دار الفرقان، ٢٠٠٤م.

- **البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب و د. كامل حسن البصير.**

ط١، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،جامعة بغداد، ١٩٩٠م.

- **التأويل النحوي في القرآن الكريم، د. عبدالفتاح أحمد الحموز.**

ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٨٤م.

- **تاج العروس من جواهر القاموس للسيد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥ هـ).**

تحقيق: عبدالكريم الغرباوي.

- **تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أثير الدين أبي حيان الأندلسي (٧٤٥ هـ).**

تحقيق: د.أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، ط١، احياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧م.

- **التصوير الفني في القرآن، سيد قطب.**

دار المعارف، ١٩٦٣م.

- **التعبير القرآني، د.فاضل السامرائي.**

جامعة بغداد، بيت الحكمة، ١٩٨٦-١٩٨٧م.

- **تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للامام القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن أبي عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (٧٩١ هـ).**

تحقيق: الشيخ عبدالقادر عرفان العشّا حسونة، اشراف مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر، ١٩٩٦م.

- **تفسير العلامة أبي السعود ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم.**

دار الفكر(د.ت)

- **تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦ هـ).**

تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب المصرية، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م.

- **تفسير القاسمي، محمد جمال القاسمي(١٣٣٢هـ).**

تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م.

- **تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، للإمام محمد رشيد رضا (١٩٣٥م).**

ط٢، دار الفكر.

- **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي(٦٠٤هـ).**

ط١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

- **تفسير المراغي، الاستاذ أحمد مصطفى المراغي.**

ط١، دار الفكر، ٢٠٠١.

- **تيجان التبيان في مشكلات القرآن،محمد أمين بن خير الله الخطيب العمري(1151هـ).**

تحقيق ودراسة: حسن مظفر الرزو، ط١، جامعة الموصل، ١٩٨٥م.

- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ).**

جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت(د.ت).

- **الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الإنصاري القرطبي(٦٧١هـ)**

ضبط ومراجعة على الأصول: صدقي جميل العطار، خرج حديثه الشيخ عرفان العشا، ط١، دار الفكر،بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

- **الجنى الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ)**

تحقيق: طه محسن، مؤسسة دار الكتب، الموصل، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٩٧٥م.

- **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، د.فضل حسن عباس، ط٩.**

دار الفرقان، ٢٠٠٤م.

- **حاشية الصاوي على تفسير الجلالين مذيلاً بلباب النقول في أسباب النزول للسيوطي.**

اشراف ومراجعة وتقديم: صدقي جميل العطار، ط١، دار الفكر، ٢٠٠٣م.

- **الخصائص،ابي الفتح عثمان بن جني(٣٩٥هـ).**

تحقيق: محمد علي النجار. ط٤، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م.

- **دراسات فنية في صور القرآن، د. محمود البستاني.**

ط!، مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ١٤٢١ هـ.

- **درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، للشيخ الإمام أبي عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب الإسكافي(٤٣١هـ) رواية الإمام ابراهيم بن علي بن محمد الملقب بأبي الفرج الاردستاني.**

ط١، مطبعة محمد محمد مطر الوراق، مصر، ١٩٠٩م.

- **دلائل الإعجاز للامام اللغوي عبدالقاهر الجرجاني(٤٧١هـ) .**

تحقيق: د.محمد رضوان الداية، د.فايز الداية، ط٢، مكتبة سعد الدين، دمشق، ١٩٨٧م.

- **ديوان ابن مقبل.**

تحقيق: عزة حسن، دمشق، ١٩٦٢م.

- **ديوان الأفوه الأودي ضمن الطرائف الأدبية، عبدالعزيز اليمني.**

لجنة التأليف والترجمةوالنشر، مصر(د.ت).

- **ديوان أوس بن حجر.**

تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

- **ديوان حسان بن ثابت الأنصاري.**

شرحه وضبطه وقدم له: علي العسيلي، ط١،منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

- **ديوان الحطيئة، نعمان أمين طه.**

مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٨م.

- **ديوان الطرماح.**

تحقيق: عزه حسن، دمشق، ١٩٦٨م.

- **ديوان العجاج رواية الأصمعي.**

تحقيق، عزه حسن، بيروت، ١٩٧١م.

- **ديوان قيس بن الخطيم.**

تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م.

- **ديوان النابغة الجعدي.**

دمشق، ١٩٦٤م.

- **ديوان النابغة الذبياني.**

تحقيق وشرح: كرم البستاني، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠م.

- **ديوان الهذليين.**

المكتبة العربية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.

- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة ابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (١٣١٧هـ)**

قرأه وصححه محمد حسين العرب، دار الفكر، ١٩٩٧م.

- **سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبدالله بن عباس، د. إبراهيم السامرائي.**

مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م.

- **شرح شعر زهير.**

مطبعة دار الكتب المصرية

- **شعر الكميت**

تحقيق: داود سلوم، بغداد، ١٩٢٣م.

- **صفوة التفاسير، محمد بن علي الصابوني.**

ط٤، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١م.

- **العربية تواجه العصر، الدكتور ابراهيم السامرائي.**

الموسوعة الصغيرة(١٠٥)، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، ١٩٨٢م.

- **العمدة في غريب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)**

شرح وتعليق: يوسف عبدالرحمن المرعشلي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

- **علوم البلاغة(البيان –المعاني –البديع) أحمد مصطفى المراغي.**

دار القلم، بيروت، لبنان (د.ت).

- **الفائق في غريب الحديث للعلامة جارالله محمود بن عمر الزمخشري(٥٣٨هـ).**

تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم ، علي محمد البجاوي، ط٢، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧١م.

- **الفتوحات الآلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل (١٢٠٦هـ)**

ط١، دار الفكر، ٢٠٠٣م.

- **فنون التصوير البياني، الاستاذ توفيق الفيل.**

ط٣،الكويت، ١٩٨٧م.

- **كتاب سيبويه لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(١٨٠هـ).**

تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت (د.ت)

- **كتاب العين، لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)**

تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الإعلام، ١٩٨٥م.

- **كتاب معاني الحروف، أبو الحسن علي ابن عيسى الرماني النحوي (٣٦٤هـ).**

تحقيق : عبدالفتاح اسماعيل شلبي، دار النهضة، القاهرة، مصر (د.ت)

- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٥٣٨هـ)**

دار الفكر (د.ت)

- **لسان العرب للأمام العلامة أبي الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الافريقي المصري(٧١١هـ).**

دار صادر، بيروت.

- **لطائف قرآنية، د.صلاح عبدالفتاح الخالدي.**

ط٢، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٩٨٨ م.

- **لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم، لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ) رواية عن الصحابي الجليل عبدالله بن عباس.**

شرح وتعليق وتحقيق: الدكتور عبدالحميد سيد طلب، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٤م.

- **لغة القرآن الكريم، عبدالجليل عبدالرحيم.**

مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن (د.ت).

- **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي.**

ط١، دار الشؤون الثقافية (د.ت)

- **ليس في كلام العرب، الحسين بن أحمد بن خالويه (٣٧٠ هـ)**

تحقيق: أحمد عبدالغفور، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.

- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير (٦٣٧ هـ).**

قدم له وحققه وشرحه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي، الدكتور بدري طبانه. ط٢، منشورات دار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٤م.

- **المجاز في البلاغة العربية، الدكتور مهدي صالح السامرائي.**

ط، دار الدعوة، حماة ،سوريا، ١٩٧٤م.

- **مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى(٢١٠ هـ).**

عارضه بأصوله وعلق عليه الدكتور محمد فؤاد، ط١، الناشر محمد سامي أمين الخانجي الكتبي بمصر، ١٩٥٤م.

- **مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، الدكتور محمد حسين علي الصغير.**

ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٤م.

- **مختصر تفسير ابن كثير الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ)**

اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، ط٧، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١م.

- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها للعلامة عبدالرحمن جلال الدين السيوطي.**

شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق هوامشه محمد أحمد جاد الله وعلي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية(د.ت).

- **مسائل الرازي وأجوبتها، الإمام الكبير الحافظ الحجة الثبت الشيخ زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر بن عبدالمحسن الرازي الحنفي(٦٦٦هـ).**

شركة مكتبة مطصفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، ١٩٦٨م.

- **مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب(٤٣٧هـ)**

تحقيق: حاتم الضامن، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ١٩٧٥م.

- **معاني القران، أبي زكرياء يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ).**

تحقيق: احمد يوسف نجاتي ومحمد على النجار ج١ ج٢، وتحقيق: الدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي ج٣، الدار المصرية للتأليف والترجمة(د.ت).

- **معاني النحو الدكتور فاضل السامرائي.**

مطبعة التعليم العالي في الموصل،١٩٨٦م.

- **معترك الأقران في إعجاز القرآن، ابي الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي الشافعي(٩١١هـ)**

ضبطه وصححه وكتب هوامشه أحمد شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٩٨٨م.

- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي.**

مؤسسة جمال للنشرو بيروت، لبنان.

- **المعجم المفهرس للقراءات القرانية مع مقدمة للقراءات وأشهر القراء، الدكتور أحمد مختار عمر والدكتور عبدالعال سالم مكرم**

ط٢، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٨م.

- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله ابن هشام الأنصاري المصري(٧٦١هـ).**

تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة المدني، القاهرة(د.ت).

- **مفردات ألفاظ القرآن للعلامة الراغب الأصفهاني(٤٢٥هـ)**

تحقيق: عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٩٩٦م.

- **المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم، الدكتور صلاح الدين المنجد.**

ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٨م.

- **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن الزبير الغرناطي**

تحقيق: الدكتور محمود كامل أحمد،دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥م.

- **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، ابي محمد القاسم الأنصاري السجلماسي، من نقاد القرن الثامن الهجري بالمغرب.**

تحقيق: علاء الغازي، ط١، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب(د.ت).

- **نحو القرآن، أحمد عبدالستار الجواري.**

مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٧٤م.

- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للامام برهان الدين أبي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)**

خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبدالرزاق غالب المهدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.

- **النهاية في غريب الحديث والأثر، الامام مجد الدين أبي السعادات المبارك ابن محمد الجزري ابن الأثير(_٦٠٦هـ).**

تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ط٢، دار الفكر، ١٩٧٩.

الرسائل والأطاريح

- **التفسح في منثور اللغة ومنظومها رواية أبي الحسن عبدالله بن محمد بن سفيان النحوي (٣٢٥هـ)**

دراسة وتحقيق عبدالجبار عبدالامير هاني، كلية التربية، جامعة البصرة، رسالة ماجستير، اشراف الدكتور محمد جبار المعيبد، ١٩٩٠م.

- **التقريب في علم الغريب لأبي خطاب الدهشة(٨٣٤هـ)**

دراسة وتحقيق الجزء الأول محمد جاسم معروف الهيتي، كلية الآداب، جامعة بغداد، أطروحة دكتوراه، اشراف الدكتور حسام النعيمي، ١٩٨٦م.